

# تأويل مُشكلات البخاري

وتأليفه

شرح أبيات لبغض السادات

تأليف الشيخ الإمام

أبي عبد الله محمد بن يوسف القنوي المالكي الأشعري

(832 - 895 هـ)

تحقيق

نزار حمادي

المركز العربي

للكتاب

الشارقة

# تَاوِيلُ مُشْكَلَاتِ الْبُخَارِيِّ

وَتَلِيهِ

شَرْحُ أَبْيَاتِ لِبَغِضِ السَّالِمَاتِ

تَأْلِيفُ الشَّيْخِ الْإِمَامِ

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنِ يُونُسَ الْقَنْوِسِيَّ الْمَالِكِيَّ الْأَنْشَاقِيَّ

(832 - 895 هـ)

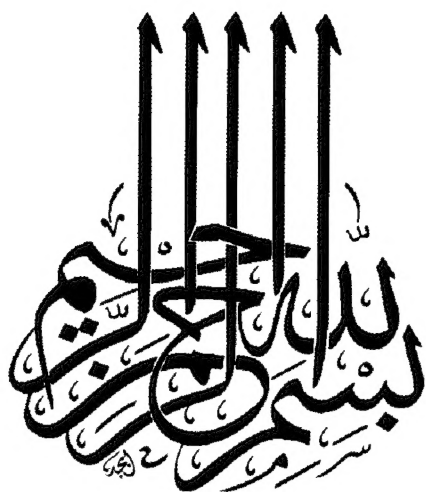
تَحْقِيقُ

فَزَّازٍ حَمَلِي

الطَّرِيقُ الْعَرَبِيُّ  
لِلْكِتَابِ

الشارقة

تأويل مُشكلات البخاري



الطبعة الأولى

1436 هـ - 2015 م

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أكمل الدين، وأوضح سبيل المهتدين، والصلاة والسلام  
الأتمان الأكملان على مَنْ به خُتِمَت النُّبُوتُ والرسالات، سيِّدنا مُحَمَّدٍ  
أفضل المخلوقات، وعلى آله وأصحابه الأئمة الهداة.

وبعد، فإنَّ نبيِّنا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد بَلَغَ الرسالة، وأدى الأمانة،  
ونصَحَ الأُمَّة، وكشف الغُمَّة، وجاهد في الله حقَّ الجهاد، وبَيَّن طريق الحقِّ  
والرشاد، وترك أُمَّتَه على المَحَجَّة البيضاء، وأورَثَهُم السُّنَّة الغرَّاء، فقام  
العلماء بها أتمَّ القيام، وشرحوا معانيها وكشفوا مُشكِهَا ونشروا أنوارها بين  
الأنام، فصدَّق عليهم بذلك قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَرِثُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ  
خَلْفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيفَ  
الْغَالِينَ»<sup>(1)</sup>.

قال الإمام النووي: «هذا إخبارٌ منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصيانة العِلْم وحِفْظِهِ  
وعِدَالَةِ نَاقِلِيهِ، وأنَّ الله تعالى يوفِّقُ له في كُلِّ عَصْرِ خلفاءٍ مِنَ العدول يحمِلُونَهُ  
ويَنْفُونَ عنه التحريفَ وما بعده فلا يضيعُ، وهذا تصريحٌ بعدالة حاملِهِ في كلِّ  
عصر، وهكذا وقع والله الحمد، وهذا من أعلام النُّبُوَّة»<sup>(2)</sup>.

(1) أخرجه الحافظ البيهقي في السنن الكبرى برقم 20911.

(2) تهذيب الأسماء واللغات، (ج 1/ ص 17 طبعة دار الكتب العلمية)

فقد دلَّ هذا الخبرُ النبويُّ الذي حسَّنه العلماء لكثرة طرقه وصحة معناه ومطابقته للواقع على حاجة عامة المسلمين إلى علماء الدين، لا سيما وأن الله تعالى قد أراد ببالغ حكمته أن يوجد في مصادر التشريع قرآناً وسنةً مُحَكَّم الكلام البين الدلالة الواضح المعاني الذي لا يكاد يختلف فيه العقلاء، ومتشابهة الذي يقع الخلاف حوله ولا يظهر معناه المراد إلا بالنظر الصحيح ومزيد التأمل والتفكر، ولا يتحقَّق ذلك إلا للمتبحرين في العلوم المحفوفين بتوفيق الله تعالى.

وإلى ذلك يشير قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحَكَّمَتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۚ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۚ﴾ [آل عمران: ٧].

وقد أشار الإمام «ابن عرفة» رحمه الله إلى جهود الراسخين في العلم في توجيه المتشابهات توجيهًا صحيحًا بقوله: «وأهل السنة يتبعون المتشابه، لكن المتشابه له لفظٌ ظاهرٌ ومدلولٌ، فأهل السنة يتبعونه قصدًا لصرفه إلى معناه من الصواب، والمبتدعة يتبعون ظاهرَ لفظه<sup>(١)</sup>».

وقال أيضًا: «الألفاظ الموهمة إذا وردت من الشارع تأوَّلت ورُدَّت إلى الصواب، وإن وردت من غيره لم تُتأوَّل؛ لأنَّ الشارع يذكر الألفاظ الموهمة

(١) تقييد الأبي (ص ١١ تحقيق د. العلوش)

للابتلاء بها؛ ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨] ، فالمُحِقُّ يَصْرِفُهَا عَنْ ظَاهِرِهَا إِلَى الصَّوَابِ، وَالْمُبْطِلُ يَقِفُ مَعَ الظَّاهِرِ<sup>(١)</sup>.

وما يصدق على القرآن العظيم يصدق على أحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكما أسس العلماء علمَ مُشْكِلِ الْقُرْآنِ وَأَلْفَوْا فِيهِ مَوْلَفَاتٍ مُسْتَقْلَةً، كَذَلِكَ أَسَّسُوا عِلْمَ مُشْكِلِ الْحَدِيثِ عِنْدَمَا دَعَتِ الْحَاجَةُ إِلَى ذَلِكَ، وَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي بِهِ يُنْفَى عَنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يُتَوَهَّمُ مِنَ الْإِخْتِلَافِ وَالْإِشْكَالِ وَالتَّعَارُضِ وَالتَّنَاقُضِ، وَبِهِ يُرَدُّ عَلَى الطَّاعِنِينَ فِيهِ، وَتُسْتَخْرَجُ دَقَائِقُ مَعَانِي كَلَامِهِ الْجَامِعِ لِلْأَحْكَامِ وَالْحُكَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَلْفَوْا فِي ذَلِكَ أَيْضًا كِتَابًا نَافِعَةً قِيَمَةً، كَمَا نَثَرُوا الْكَثِيرَ مِنْ دُرَرِهِ فِي تَفَاسِيرِهِمْ وَسَائِرِ مَوْلَفَاتِهِمْ.

ولدقة علم مُشْكِلِ الْحَدِيثِ قَالَ فِيهِ الْحَافِظُ ابْنُ الصَّلَاحِ: «إِنَّمَا يَكْمُلُ لِلْقِيَامِ بِهِ الْأُئِمَّةُ الْجَامِعُونَ بَيْنَ صِنَاعَتِي الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ، الْغَوَاصُّونَ عَلَى الْمَعَانِي الدَّقِيقَةِ»<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ تَنَبَّهَ الْأَوَائِلُ إِلَى وَجُودِ أَحَادِيثِ نَبْوِيَّةٍ يَشْكُلُ فَهْمُهَا عَلَى بَعْضِ النَّاسِ وَيَحْتَاجُ لِتَأْوِيلِهَا وَتَوْجِيهِهَا التَّوْجِيهِ الصَّحِيحَ، وَمِنْ أَبْرَزِهِمُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ الْحُجَّةُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبَخَارِيُّ صَاحِبُ الصَّحِيحِ، وَلِذَا فَتَحَ بَابَ التَّأْوِيلِ

---

(١) تقييد الأبي، (ج ٢/ ص ٧٢٨ تحقيق د. المناعي)

(٢) معرفة أنواع علم الحديث «مقدمة ابن الصلاح» (ص ٣٨٤)

والتوجيه لمعاني كلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك في مواضع من صحيحه لا سيما برواية الفِرْبَرِيِّ، منها ما ورد في كتاب التفسير، باب: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، عند قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ - أَوْ ضَحِكَ<sup>(١)</sup> - مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ»، قال الإمام أبو عبد الله البخاري: «معنى الضحك: الرَّحْمَةُ». قال الإمام الخطابي بعد إيراده معلقاً على تأويل البخاري: «قول أبي عبد الله قريبٌ، وتأويله على معنى الرِّضَا لِفَعْلِهِمَا أَقْرَبُ وَأَشْبَهُ»<sup>(٢)</sup>، ثم بيّن الخطابي وجه اختياره للتأويل المذكور.

وقد أورد الحافظ ابن حجر العسقلاني كلا التأويلين، ثم وجّه ما ذهب إليه الخطابي قائلاً: «قُلْتُ: وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالضَّحِكِ الْإِقْبَالَ بِالرِّضَا تَعْدِيَّتُهُ بِـ«إِلَى»؛ تَقُولُ: ضَحِكَ فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ، إِذَا تَوَجَّهَ إِلَيْهِ طَلَقَ الْوَجْهَ مُظْهِراً

---

(١) قال الإمام الخطابي: الضحك الذي يعتري البشر عندما يستخفُّهم الفرح أو يستفزهم الطرب غير جائزٍ على الله سبحانه، وهو منفيٌّ عن صفاته، وإنما هو مثلٌ ضربه لهذا الصنيع الذي يحلُّ محلَّ العجب عند البشر فإذا رآوه أضحكهم. ومعناه في صفة الله سبحانه: الإخبار عن الرضا بفعل أحدهما والقبول للآخر، ومجازتهما عن صنيعهما الجنة مع اختلاف أحوالهما وتباين مقاصدهما. (أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، ج 2/ ص 1365 ط 1. 1409 هـ / 1988 م جامعة أم القرى)

(٢) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، (ج 3/ ص 1369)



لِلرَّضَا عَنْهُ»<sup>(1)</sup>، وفي باب الحديث المذكور عاد الحافظ ابن حجر ووفق بين تأويل البخاري وتأويل الخطابي قائلًا: «قُلْتُ: الرِّضَا مِنَ اللَّهِ يَسْتَلْزِمُ الرَّحْمَةَ، وَهُوَ لَا زِمُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»<sup>(2)</sup>.

وعلى نهج الإمام البخاري والحافظ الخطابي سار أئمة أهل السنة في تأويل لمشكل الحديث، ومن ذلك قول القاضي عياض في شرح قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ، يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ»، فقالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: «يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَيَسْتَشْهَدُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسَلِّمُ، فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَيَسْتَشْهَدُ»<sup>(3)</sup>: «الضَّحِكُ هنا استعارة في حقِّ الله، ولا يجوز عليه الضحك المعلوم؛ لأنه إنما يصح من الأجسام وممن يجوز عليه تغيُّر الحالات، والله تعالى منزَّه عن ذلك، وإنما يرجع إلى الرضا بفعليهما والثواب عليه والإحسان إليهما، أو حَمْدُ فِعْلِهِمَا وَمَحَبَّتِهِ، وتلقَّى رُسُلُ اللَّهِ لهما بذلك؛ لأن الضحك إنما يكون من أحدنا عند موافقة ما يراه وسروره به وبرِّه لمن يلقاه، وقد تقدم الكلام عليه مشبعًا في صدر الكتاب»<sup>(4)</sup>.

---

(1) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر (ج 6/ ص 40 طبعة دار المعرفة، 1379هـ)

(2) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر (ج 7/ ص 633)

(3) البخاري في الجهاد والسير، باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم؛ ومسلم في الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر بدخلان الجنة

(4) إكمال المعلم لفوائد مسلم، (ج 1/ ص 558)

فكل هذا يشير إلى أن العلماء الأوائل قد وضعوا اللبنة الأولى لعلم مشكل الحديث واعتنوا به في مؤلفاتهم، ثم سخر الله تعالى للأمة في كل جيل من يقوم بهذا العلم أتم القيام، ومن أبرزهم في القرن التاسع الهجري الشيخ الإمام العالم الولي الصالح أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي<sup>(1)</sup> (832 - 895هـ) رَحِمَهُ اللهُ، إضافةً إلى قيامه بتجديد علم أصول الدين قد غاص في أسرار حديث سيّد المرسلين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما حصّله من حظ وافٍ في العلوم العقلية والنقلية<sup>(2)</sup>، فكان من جملة مؤلفاته النفيسة النافعة رسالة حلّ فيها مشكلات الحديث الواردة في صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ لا سيما في مسائل العقائد، وأورد من جواهر المعاني وأسرار الفهوم ما يستحسنه أولو الألباب ويسرّ به الراسخون في العلم.

أثبت الشيخ الملالي هذه الرسالة تأليفاً مستقلاً لشيخه السنوسي وإن أوردتها كاملة في مناقبه القدوسية، فقال عند تعداده لمؤلفات الإمام السنوسي:

---

(1) للوقوف على ترجمته تفصيلاً يراجع كتاب المواهب القدوسية في المناقب السنوسية، للشيخ الملالي؛ تحقيق علال بوربيق، دار كردادة، الجزائر، 2011م؛ والبستان لابن مريم (ص 237 - 248)؛ وكفاية المحتاج للتنبكي (ج 2/ 200 - 209)، وكتاب ثلاث عقائد أشعرية للإمام السنوسي، دراسة وتحقيق الدكتور خالد زهري، نشر مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية، ط 1. 2012م.

(2) قال الإمام السنوسي: كلام من أوتي جوامع الكلم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يحاط بفوائده، يُنفق فيه ذو السعة في العلم على قدر سعته، ومن دونه على قدره، والكل لم يحصّلوا من ذلك البحر الزاخر الذي لا يحاط بأبعاده إلا ما هو في النسبة كنقطة أو أقلّ منها إلى العالم كلّ. (مكمل الإكمال، ج 1/ ص 136)

ومنها «شرح لمشكلات وقعت في آخر البخاري» كقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي شَأْنِ جَهَنَّمَ أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا: «حَتَّى يَضَعَ الْجَبَّارُ فِيهَا قَدَمَهُ»، وكقوله أَيْضًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَتْرُونَ رَبِّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»، ونحو ذلك مِنَ الْمَشْكَلاتِ الَّتِي لَا تَحْمِلُ عَلَى ظَاهَرِهَا، وَهُوَ شَرْحُ جَلِيلٍ مُخْتَصٍّ، فِيهِ نَحْوُ الْكَرَاسِينَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ<sup>(1)</sup>.

وقد رأى صديقنا الفاضل الدكتور البَحَّاثَةُ خَالِدُ زَهْرِي حفظه الله تعالى أَن يَسْنِدَ إِلَيَّ تَحْقِيقَ هَذِهِ الرِّسَالَةِ بَعْدَ أَن عَزَمَ عَلَى فَعْلٍ ذَلِكَ بَلْ وَشَرَعَ فِيهِ، فَقَبِلْتُ ذَلِكَ مِنْهُ لِأَنَّ الْإِشْتَغَالَ عَلَى كَتَبِ الْإِمَامِ السَّنُوسِيِّ شَرَفٌ عَظِيمٌ، فَشَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ حَسَنَ ظَنِّهِ وَجَمِيلَ عَوْنِهِ، إِذْ لَمْ يَزَلْ لِي سَنَدًا وَعُضْدًا فِي الْعِنَايَةِ بِتَرَاتِنَا الْعِلْمِيِّ جَزَاهُ اللَّهُ عَنَا خَيْرَ الْجَزَاءِ.

هَذَا، وَقَدْ أُرْدِفْتُ رِسَالَةً تَأْوِيلَ مَشْكَلاتِ الْبُخَارِيِّ بِرِسَالَةٍ أُخْرَى لِلْإِمَامِ السَّنُوسِيِّ وَهِيَ شَرْحُهُ عَلَى أَبِيَاتِ عَرَفَانِيَةِ قَالَ الْمَلَالِيُّ أَنَّهَا تَنْسَبُ لِأَبِي إِسْحَاقَ الْأَلْبِيرِيِّ الْمَتَوَفَى فِي حُدُودِ (460 هـ) وَقَدْ أَوْرَدَهَا ابْنُ الْعَرِيفِ الصَّنَهَاجِيِّ (ت 536 هـ) فِي كِتَابِهِ مَحَاسِنُ الْمَجَالِسِ<sup>(2)</sup> مَعَ اخْتِلَافٍ فِي بَعْضِ الْكَلِمَاتِ، وَفِي هَذَا الشَّرْحِ يَتَجَلَّى مَرَّةً أُخْرَى عُلُوُّ مَقَامِ الْإِمَامِ السَّنُوسِيِّ فِي

---

(1) المواهب القدوسية في المناقب السنوسية، تحقيق علال بوريق، دار كردادة، الجزائر، 2011، ص 359 - 360.

(2) محاسن المجالس (ص 85 - 86) تحقيق د. محمد العدلوني الإدريسي، طبعة دار الثقافة بالمغرب.

استخراج درر معاني الكلام وقدرته على استنباط المفاهيم الكثيرة من الكلمات القليلة.

#### النسخ المعتمد في تحقيق تأويل مشكلات البخاري:

- النسخة الخزانة الملكية بالمغرب الأقصى، تحمل رقم «6414»: تقع

ضمن مجموع، من الورقة 31 ب إلى 58 أ. وإليها الإشارة بالحرف (أ).

- النسخة الخزانة الملكية بالمغرب الأقصى، تحمل رقم 6451:

مكتوبة بخط مغربي، بيد محمد بن أبي الفضل خروف التونسي، وفرغ

منها، بمدينة فاس، عند فجر يوم السبت 29 ربيع الثاني عام 949 هـ. وإليها

الإشارة بالحرف (ب).

#### نماذج من النسخ المخطوطة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو  
الْعَلَاءِ أَوْ عَمِلَ بِهِ  
سِرٌّ غَرِيبٌ وَفِيهِ  
السُّبُوتُ وَفِيهِ  
الْبَلَدُ وَفِيهِ شَيْءٌ

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

الشَّيْخُ فِي رِوَايَةٍ

يَعْنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَمْرَ مِنَ الْأَمْرِ قَوْلُ  
أَنْ تَعْلَمَ الْمَعْنَى بِمَعْنَى الْأَمْرِ وَفِيهِ  
فِيهَا الْأَمْرُ بِأَنْ تَعْلَمَ بِمَعْنَى الْأَمْرِ  
وَفِيهَا الْأَمْرُ بِأَنْ تَعْلَمَ بِمَعْنَى الْأَمْرِ  
وَفِيهَا الْأَمْرُ بِأَنْ تَعْلَمَ بِمَعْنَى الْأَمْرِ  
وَفِيهَا الْأَمْرُ بِأَنْ تَعْلَمَ بِمَعْنَى الْأَمْرِ

الصفحة الأولى من النسخة (أ)

الْبَلَدُ وَالْبَلَدُ وَالْبَلَدُ وَالْبَلَدُ وَالْبَلَدُ  
عَمِلَ بِهِ أَوْ عَمِلَ بِهِ أَوْ عَمِلَ بِهِ  
الْبَلَدُ وَالْبَلَدُ وَالْبَلَدُ وَالْبَلَدُ  
وَسَلَّمَ وَمَا بَيْنَ الشُّعْرِ وَبَيْنَ الشُّعْرِ  
الْكِبَرُ وَالْكِبَرُ وَالْكِبَرُ وَالْكِبَرُ  
لِلصَّلَاةِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّلَاةِ  
مَا بَيْنَ عَمِلَ بِهِ أَوْ عَمِلَ بِهِ  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمَ بِالْمَعْنَى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمَ بِالْمَعْنَى  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمَ بِالْمَعْنَى  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمَ بِالْمَعْنَى  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمَ بِالْمَعْنَى  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمَ بِالْمَعْنَى  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمَ بِالْمَعْنَى

الصفحة الأخيرة من النسخة (أ)



### **النسخ المعتمد في تحقيق شرح أبيات لبعض السادات:**

- **النسخة (أ)** نسخة المكتبة الوطنية بتونس ضمن مجموع رقم 12560 تقع

بين الروقة 11 إلى الورقة 23 خطها مغربي وناسخها عثمان بن أحمد الورغي

بتاريخ يوم الجمعة التاسع من صفر سنة 1182 هـ.

- **النسخة (ب)** نسخة المكتبة الوطنية بتونس برقم 22668 وهي ضمن كتاب

المواهب القدوسية في المناقب السنوسية للشيخ الماللي، وقد ساقها كاملة.

**نماذج من النسخ المخطوطة:**

بسم الله الرحمن الرحيم  
وعلى الله وسيدنا محمد وآله

فأما الشجرة التي تسمى  
على قلوبهم المساء انما هي اسم  
عنهم اجمعين

رايت اية بعين فليكن  
الله الذي لا يرى  
وليس له شكل  
وليس له لون  
وليس له رائحة  
وليس له طعم  
وليس له قوام  
وليس له صوت  
وليس له لون  
وليس له رائحة  
وليس له طعم  
وليس له قوام  
وليس له صوت

فأما الشجرة التي تسمى بعين فليكن  
بمعنى فليكن الله مع غير الله  
انعم والذكر العظمة العظمة  
انما هي شجرة فليكن  
عمرها سواها  
الغالب  
المعروفة

### الصفحة الأولى من النسخة (أ)

بمعنى فليكن الله مع غير الله  
انعم والذكر العظمة العظمة  
انما هي شجرة فليكن  
عمرها سواها  
الغالب  
المعروفة

الجميل

### الصفحة الأخيرة من النسخة (أ)







# تَأْوِيلُ مُشْكَلَاتِ الْبُخَارِيِّ

تأليف الشيخ الإمام  
أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي المالكي الأشعري  
(832 - 895 هـ)

تحقيق  
نزار حمادي

دار الأمل للدراسات والبحوث  
تونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْعَلَّامَةُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِي مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ السَّنُوسِيُّ  
رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ﴿٢﴾ [الناس: ٢].

قوله: «يَقْبِضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>

يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: يَقْبِضُ أَهْلَ الْأَرْضِ وَكُلَّ<sup>(٢)</sup> مَنْ فِي جَوْفِهَا مِنَ  
الْأَمْوَاتِ، وَيَجْمَعُهُمْ فِي أَرْضِ الْمَحْشَرِ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى يَقْبِضُهَا: إِزَالَتَهَا مِنْ مَوْضِعِهَا<sup>(٣)</sup> وَتَبْدِيلُهَا  
بِأَرْضٍ أُخْرَى<sup>(٤)</sup>.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ﴿٢﴾ [الناس: ٢]،  
رقم (7382) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ».

قال الشيخ أحمد بن إسماعيل الكوراني: ليس هناك جارحة، تعالى عن ذلك علوا كبيرا، وإنما  
المراد القدرة الكاملة، فإنَّ اليمين في الإنسان أقوى الجانبين. وخصَّه بالسماء لأنه أعظم من  
الأرض. (الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، ج 11/ ص 419 طبعة دار الكتب  
العلمية، 2012م)

(٢) كل: ليست في (أ)

(٣) من موضعها: ليس في (أ)

(٤) في (أ): بالأرض الأخرى

وَلَمَّا كَانَتْ إِزَالَتُهَا وَتَبْدِيلُهَا بِرَفْعِ بَسْطِهَا الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ لِمَنْفَعَةِ الْخَلْقِ،  
 كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [البقرة: ٢٢]، عَبَّرَ عَنْ تِلْكَ الْإِزَالَةِ  
 وَالتَّبْدِيلِ بِالْقَبْضِ؛ لِأَنَّهُ ضِدُّ الْبَسْطِ.

وَقَوْلُهُ: «وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ» يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِطَيِّهَا إِزَالَتُهَا  
 أَيْضًا مِنْ مَوْضِعِهَا <sup>(١)</sup> حَتَّى يَرْتَفِعَ مِنْهَا مَا اتَّصَفَتْ بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ بَسْطِهَا <sup>(٢)</sup>  
 لِسُكْنَى الْمَلَائِكَةِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ <sup>(٣)</sup>.

وَقَوْلُهُ: «بِيَمِينِهِ» يَعْنِي بِقُدْرَتِهِ، وَعَبَّرَ عَنْهَا بِالْيَمِينِ لِأَنَّ بِهَا يَتَصَرَّفُ الْقَادِرُ  
 فِي الْخَلْقِ فِي الْأَمْرِ الصَّعْبِ الْكَبِيرِ وَالْأَمْرِ الشَّرِيفِ، وَإِعْدَامِ السَّمَاوَاتِ  
 وَإِزَالَتِهَا مِنْ أَحْيَاظِهَا مِنَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ بِحَسَبِ الْعَادَةِ، لَا بِحَسَبِ قُدْرَةِ اللَّهِ  
 تَعَالَى، وَهِيَ شَرِيفَةٌ أَيْضًا <sup>(٤)</sup>، فَنَاسَبَ أَنْ يُعَبَّرَ عَنِ الْقُدْرَةِ الْمُتَوَجَّهَةِ إِلَى  
 التَّصَرُّفِ فِيهَا بِذَلِكَ الْأَمْرِ الْهَائِلِ بِالْيَمِينِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

---

(١) قال الإمام بدر الدين العيني: «ويطوي السماء» أي: يذهبها ويفنيها. وَلَا يُرَادُ بِذَلِكَ طَيُّ  
 بعلاج وانتصاب، إِنَّمَا الْمُرَادُ بِذَلِكَ الْإِذْهَابُ وَالْإِفْنَاءُ؛ يُقَالُ: انطوى عَنَّا مَا كُنَّا فِيهِ، أَي:  
 ذَهَبَ وَزَالَ، وَالْأَصْلُ الْحَقِيقَةُ. قَوْلُهُ: «بِيَمِينِهِ» أَي: بِقُدْرَتِهِ. (عمدة القاري في شرح صحيح  
 البخاري، ج ٢٣/ ص ١٠١ طبعة دار إحياء التراث العربي)

(٢) بسطها: ليست في (ب)

(٣) في (ب): عليهم السلام

(٤) أيضا: ليست في (أ)

قَوْلُهُ: «ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. أَئِنَّ مُلُوكَ الْأَرْضِ؟»<sup>(1)</sup>

هَذَا<sup>(2)</sup> الْخِطَابُ<sup>(3)</sup> مِنَ الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقْتَضِي أَنَّهُ جَلَّ وَعَزَّ عَزَلَ كُلَّ ذِي مُلْكٍ عَنْ مُلْكِهِ، وَأَزْعَجَ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ إِلَى الْمَثْوَى<sup>(4)</sup> بِأَرْضِ الْمَوْقِفِ خَائِفِينَ وَجِلِينَ، فَأَخْرَجَهُمْ مِنْ أَمَكَّتِهِمْ لِلْأَرْضِ<sup>(5)</sup> وَالسَّمَاوَاتِ غُرَبَاءَ، أَذِلَّاءَ، مُتَحِيرِينَ، وَقَبَضَ مَسَاكِنَهُمْ، وَطَوَّاهَا، وَخَرَّبَهَا. وَقَالَ عَزَّجَلَّ: «أَنَا الْمَلِكُ»، أَيُّ: أَنَا الْمَخْصُوصُ<sup>(6)</sup> الْآنَ بِالْمُلْكِ لِعَزْلِ كُلِّ مَالِكٍ عَنْ مُلْكِهِ الْمَجَازِيِّ، وَارْتِدَائِهِ بَعْدَ الْعِزَّةِ وَعِظَمِ الرُّتْبَةِ بِرَدِّهِ الْمَسْكَنَةِ وَالذَّلَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ وَالْعُرْبَةِ.

وَلَمَّا كَانَتْ دَعْوَى الْمُلْكِ إِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا وَيَفْتَحِرُ بِهَا وَيَصْلُحُ بِسَبَبِهَا الْمَسَاكِينُ وَمُلُوكُ الْأَرْضِ، وَأَهْلُ السَّمَاوَاتِ مُبْرَأُونَ مِنْ هَذِهِ الدَّعْوَى، قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «أَئِنَّ مُلُوكَ الْأَرْضِ؟!»، أَئِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ الْمُلْكَ، وَيَتَكَبَّرُونَ بِسَبَبِهِ عَنِ الْإِنْفِيَادِ لِمَا أَمَرَ بِهِ مَوْلَانَا جَلَّ وَعَزَّ؟! فَهُمْ<sup>(7)</sup> الْيَوْمَ لَا يَتَمَيِّزُونَ عَنْ

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٢].

(2) لست في (أ)

(3) في (أ): خطاب

(4) في (أ): بياض بمقدار كلمة «المثوى»

(5) في (أ): الأرض

(6) أي: أنا المُنْفَرِدُ.

(7) ليست في (أ)

أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ، بَلْ صَارُوا فِي الْخُمُولِ وَالذَّلَّةِ بِحَيْثُ<sup>(١)</sup> تَطَوُّهُمْ الْأَقْدَامُ.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٣) ﴿[الفاتحة: ٢-٤].﴾

بَابُ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٤) [إبراهيم: ٤]

قَوْلُهُ: «حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهَا قَدَمَهُ»<sup>(٢)</sup>

لَا إِشْكَالَ أَنَّ الْجِسْمِيَّةَ وَالْجَارِحَةَ عَلَى مَوْلَانَا جَلَّ وَعَزَّ مُسْتَحِيلَةٌ، فَتَعَيَّنَ التَّأْوِيلُ.

وَالْأَقْرَبُ أَنَّهُ كِنَايَةٌ عَنْ إِذْلالِ اللَّهِ تَعَالَى لِلنَّارِ<sup>(٣)</sup>، وَخَلْقِهِ فِيهَا الشُّعُورَ بِعَظَمَتِهِ وَالْخَوْفَ مِنْ عُقُوبَتِهِ تَعَالَى لَهَا فِي تَعَدِّيْهَا وَحَرِصِهَا عَلَى مَا لَمْ يُجْعَلْ لَهَا، لِمَا جَاءَ أَنَّهَا تَتَغَيَّبُ وَتَهَيِّجُ حَقًّا عَلَى الْكُفَّارِ وَالْعُصَاةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨]، ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ (٣٠) ﴿ق: ٣٠﴾، وَتَعْلُو وَتَطْغَى كَأَنَّهَا تُتَجَاوَزُ الْحَدَّ<sup>(٤)</sup>.

(١) ليست في (أ)

(٢) يشير للحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤] برقم (7384) عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ . حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ تَقُولُ قَدْ، قَدْ بَعِزَّتْكَ وَكَرِمَكَ. وَلَا تَزَالُ الْجَنَّةُ تَفْضُلُ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ هَا خَلْقًا فَيَسْكَنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ».

(٣) في (ب): إِذْلاله تَعَالَى النَّارَ

(٤) وهذا التأويل مختار الشيخ أحمد بن إسماعيل الكوراني إذ قال: «والمختار عندي أن وضع القدم كناية عن نظر القهر إليها؛ فإنَّ مَنْ وضع قدمه على شيء فقد بالغ في إهانته، وبدلُ

وَفِي بَعْضِ الْحَدِيثِ أَنَّهَا تَكَادُ تَلْتَقِمُ أَهْلَ الْمَحْشَرِ، فَيَكْسِرُ اللَّهُ تَعَالَى حَدَّتَهَا، وَيُذِلُّهَا إِذْ لَالَ مُتَكَبِّرٍ وَطِئَ عُنُقَ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ إِذْ لَالَهُ بِقَدَمِهِ، فَهُوَ مِنْ بَابِ التَّعْيِيرِ بِالْمَلْزُومِ، وَالْمُرَادُ لَازِمُهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ<sup>(١)</sup>.

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾

[الأنعام: ٧٣]

قَوْلُهُ: «أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»<sup>(٢)</sup>.

النُّورُ جِسْمٌ أَوْ عَرَضٌ، وَمَوْلَانَا جَلَّ وَعَزَّ مُنْزَرَّةٌ عَنْهُمَا، فَوَجَبَ التَّأْوِيلُ. فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ، أَي: أَنْتَ مُنَوِّرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَي: خَالِقُ مَا فِيهِمَا مِنَ الْأَنْوَارِ الْحِسِّيَّةِ، أَوْ مُنَوِّرُ أَهْلِهَا، أَي: هَادِيهِمْ<sup>(٣)</sup>، وَخَالِقُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ أَنْوَارٍ مَعْنَوِيَّةٍ مِنَ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ الضَّرُورِيَّةِ وَالْكَسْبِيَّةِ.

عليها قوله: «فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ»؛ إذ لو كان المراد من القدم طائفة من الخلق قدامهم

للنار لم يكن للانزواء معنى. (الكوثر الجاري، ج 11 / ص 421)

(١) والله تعالى أعلم: ليس في (أ)

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٧٣] برقم (7385)

(٣) واختاره الإمام الطبري في تفسير حيث قال: «يعني - تعالى ذكره - بقوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ﴾: هادي من في السماوات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون، وبهذه من حيرة

الضلالة يعتصمون». (جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 17 / ص 295)



قَوْلُهُ: «فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ»<sup>(1)</sup>  
 لَا شَكَّ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَعْصُومٌ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، وَمِنْ كُلِّ صَغِيرَةٍ أَوْ  
 كَبِيرَةٍ، وَكَذَا سَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَوَجَبَ التَّأْوِيلُ.  
 فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِتَعْلِيمِ غَيْرِهِ مِمَّنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ الذَّنْبُ، أَوْ قَالَهُ  
 تَوَاضَعًا لِلَّهِ وَإِظْهَارًا لِنِغَاهِ سُبْحَانَهُ<sup>(2)</sup> عَنِ الْأَعْمَالِ، فَلَا ثَوَابَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا -  
 قُدِّمَ أَوْ أُخِّرَ - إِلَّا بِمَغْفِرَتِهِ وَعَظِيمِ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، لَا بِقُرْبٍ مِنْهُ وَاسْتِحْقَاقٍ  
 وَإِذْلَالٍ<sup>(3)</sup>.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا شَهِدَ مِنْ جَلَالِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى  
 وَجَمَالِهِ مَا لَا يُمَكِّنُ إِحْصَاؤُهُ وَلَا<sup>(4)</sup> الْإِحَاطَةُ بِهِ حَتَّى يَسْتَحْضِرَ الْعَبْدُ فِي  
 عِبَادَتِهِ لِمَوْلَانَا جَلَّ وَعَزَّ وَذَكَرَهُ لَهُ جَمِيعَ ذَلِكَ، رَأَى أَنَّ كُلَّ عِبَادَةٍ تَقَعُ - مُتَقَدِّمَةً  
 أَوْ مُتَأَخَّرَةً - لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَقَعُ إِلَّا نَاقِصَةً، بِاعْتِبَارِ النَّظَرِ إِلَى عَظَمَةِ الْمَوْلَى

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٧٣] برقم (7385)

(2) في (ب): تعالى

(3) في (أ): واستدلال

(4) لا: ليست في (أ)

الْعَظِيمِ <sup>(1)</sup> الْمَعْبُودِ، فَلَا ثَوَابَ لَشَيْءٍ مِنْهَا <sup>(2)</sup> وَلَا قَبُولَ إِلَّا بِمَحْضِ فَضْلِهِ  
وَمَغْفِرَتِهِ وَمَا لَهُ مِنْ سَعَةِ الْجُودِ وَالْكَرَمِ <sup>(3)</sup>.

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]

النَّفْسُ هُنَا بِمَعْنَى الذَّاتِ، وَأَمَّا <sup>(4)</sup> النَّفْسُ الَّتِي بِمَعْنَى الْجِسْمِ الشَّفَافِ  
الْمُشَابِكِ لِلْأَجْسَامِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا قِيلَ فِيهَا، فَمُسْتَحِيلٌ عَلَى الْمَوْلَى  
تَبَارَكَ وَتَعَالَى <sup>(5)</sup>.

قَوْلُهُ: «مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ» <sup>(6)</sup>

«الْغَيْرَةُ» فِي الْخَلْقِ: أَنْفَةٌ وَتَأَلَّمَ يُصِيبَانِ <sup>(7)</sup> الْمَخْلُوقِ بِسَبَبِ صُورَةٍ فَاحِشَةٍ  
تَقَعُ فِيمَنْ يَعْزُّ عَلَيْهِ، أَوْ مُشَارَكَتِهِ لَهُ فِيمَا أُبِيحَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا <sup>(8)</sup> مُسْتَحِيلٌ  
عَلَى مَوْلَانَا جَلَّ وَعَلَا، فَوَجَبَ التَّأْوِيلُ.

(1) في (ب): تعالى

(2) ليست في (أ)

(3) في (ب): سعة الفضل والجود

(4) النفس... وأما: ليس في (أ)

(5) في (ب): فمستحيل عليه تعالى

(6) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل

عمران: ٢٨] برقم (7403) عن عبد الله عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنْ

اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، وَمَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ».

(7) في (أ): يصيب

(8) في (أ): وهو

وَالْأَقْرَبُ أَنَّهُ كِنَايَةٌ عَنْ لَازِمِ تِلْكَ الْغَيْرَةِ<sup>(1)</sup>، وَهُوَ الْمَنْعُ مِنْ انْتِهَاكِ الْحَرَمِ، وَتَشْدِيدُ عُقُوبَةِ مَنْ وَقَعَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، دُنْيَا وَأُخْرَى، إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ الْمَوْلَى الْكَرِيمُ عَنْ ذَلِكَ<sup>(2)</sup> بِفَضْلِهِ.

قوله: «وَهُوَ وَضَعَ»<sup>(3)</sup> عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ<sup>(4)</sup>

(1) قال القاضي عياض: الغيرة في المخلوق: تغير القلب وهيجان الحفيظة بسبب المشاركة في الاختصاص من أحد الزوجين بالآخر أو بحريمه وذبه عنهم ومنعه منهم، يقال: غار الرجل فهو غيور. وأما في حق الله فهو منعه ذلك وتحريمه، ويدل عليه قوله: «من غيرته حرم الفواحش»، وقوله: «وغيرته أن يأتي المؤمن ما حرم عليه». وقد يكون في حقه: تغييره فاعل ذلك بعقاب الدنيا والآخرة. (راجع مشارق الأنوار، ج 2/ ص 141)

وقال الشيخ تاج الدين الفاكهاني: الغيرة مشتقة من تغير حال الغير إن لمّا رآه من قبيح فعل من غار عليه وهيجان غضبه بسبب هتك من يذب عنه، والله سبحانه وتعالى المقدّس عن تغير الذات والصفات، فمعناه: ما من أحدٍ أمنع للفواحش من الله، والغيور يمنع حريمه، وكلّما زادت غيرته زاد منعه، فاستعير لمنع البارئ تعالى عن معاصيه اسم الغيرة مجازاً واتساعاً، وخاطبهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما يفهمونه. (رياض الأفهام، ج 2/ ص 172)

(2) في (أ): يعفو الله جل وعلا

(3) «وَضَعُ» يَفْتَحِ الْوَاوُ وَسُكُونِ الْمُعْجَمَةِ بِمَعْنَى مَوْضَعُ، وَلِأَيِّ ذَرٍ يَفْتَحِ الضَّادِ مَاضٍ، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ وَضَعُ بِكسرِ الضَّادِ مُنَوَّنًا. (راجع فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (ج 15/ ص 339).

(4) يشير للحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى:

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]. برقم (7404) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ - هُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ وَضَعُ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ - إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي».

لَا يَصِحُّ فَهْمُهُ عَلَى أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُسْتَقَرٌّ<sup>(1)</sup> عَلَى الْعَرْشِ وَذَلِكَ الْكِتَابُ  
عِنْدَهُ هُنَالِكَ، لِأَنَّ الْاسْتِقْرَارَ<sup>(2)</sup> بِالْأَمْكِنَةِ وَالْاِخْتِصَاصَ بِالْأَحْيَازِ مِنْ سِمَاتِ  
الْأَجْرَامِ الْمُحْدَثَةِ، وَيَتَعَالَى الْمَوْلَى الْأَزَلِيُّ الْقَدِيمُ الْغَنِيُّ عَنْ سِمَاتِ  
الْحَوَادِثِ<sup>(3)</sup>.

(1) في (أ): مستو

(2) في (أ): الاستواء

(3) قال الإمام ابن بطال المالكي: «عند» في ظاهر اللغة تقتضي أنها للموضع، والله يتعالى عن  
الحلول في المواضع؛ لأن ذلك من صفات الأجسام إذ الحال في موضع لا يكون بالحلول  
فيه بأولى منه بالحلول في غيره إلا لأمر يخصّص حلوله فيه، والحلول فيه عَرْضٌ من  
الأعراض يَفْنَى بمجيء حلول آخر يحلُّ به في غير ذلك المكان، والحلول مُحْدَثٌ،  
والحوادث لا تليق به تعالى، لدالته على حدث من قامت به، فوجب صَرْفُ «عِنْدَ» عن  
ظاهرها إلى ما يليق به تعالى. (شرح صحيح البخاري، ج 10/ ص 427 تحقيق أبو تميم  
ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد، ط 2. 1423 هـ / 2003 م)

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني بعد أن لخص كلام الإمام ابن بطال: «وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ  
الَّذِي بَعْدَهُ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»، وَلَا مَكَانَ هُنَاكَ قَطْعًا. (فتح الباري، ج 13/ ص 385)  
وقال أيضا في شرحه على الحديث الوارد في صحيح البخاري، باب ما جاء في قول الله  
تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] برقم (3194)  
عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي  
كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي»: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ فَهُوَ  
عِنْدَهُ أَيْ ذِكْرُهُ أَوْ عِلْمُهُ فَلَا تَكُونُ الْعِنْدِيَّةُ مَكَائِيَّةً بَلْ هِيَ إِشَارَةٌ إِلَى كَمَالِ كَوْنِهِ مَخْفِيًا عَنْ  
الْخَلْقِ مَرْفُوعًا عَنْ حَيِّزِ إِدْرَاكِهِمْ. (فتح الباري، ج 6/ ص 291)

فَالْمَعْنَى إِذَا أَنْ<sup>(1)</sup> ذَلِكَ الْكِتَابَ عِنْدَهُ عِنْدِيَّةً اعْتِنَاءً، إِذِ الْعَادَةُ أَنْ مَا تَعْتَنِي بِهِ الْمُلُوكُ عِنْدَهُمْ مِنَ الرُّسُومِ وَفِي حِفْظِهِمْ وَرَعِيهِمْ لَا يَكِلُونَهُ إِلَى غَيْرِهِمْ، وَلَا يَتَجَاسَرُ أَحَدٌ حِينَئِذٍ أَنْ يَصِلَ إِلَى ذَلِكَ الْمَكْتُوبِ بِتَبْدِيلٍ أَوْ مَحْوٍ أَوْ تَغْيِيرٍ. وَمِنْ لَازِمِ ذَلِكَ أَيْضًا، أَنْ لَا يَنْسَى الْعَمَلُ بِمُقْتَضَى ذَلِكَ الْمَكْتُوبِ، إِذْ هُوَ حَاضِرٌ عِنْدَهُ، مَذْكُورٌ، مَكْتُوبٌ، مَرْتَبِيٌّ.

وَقَوْلُهُ: «عَلَى الْعَرْشِ» يَتَعَلَّقُ بِ«وَضِعَ»، أَيُّ: ذَلِكَ الْمَكْتُوبُ مَوْضُوعٌ عَلَى الْعَرْشِ، وَلَيْسَ حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ «عِنْدَهُ»<sup>(2)</sup>، وَيَكُونُ الْمَعْنَى: وَهُوَ وَضِعَ عِنْدَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَالٌ كَوْنِهِ مُسْتَقَرًّا عَلَى الْعَرْشِ؛ لِفَسَادِ ذَلِكَ عَقْلًا وَصِنَاعَةً.

وَوَضْعُهُ سُبْحَانَهُ ذَلِكَ الْمَكْتُوبَ فَوْقَ الْعَرْشِ تَنْبِيْهُ عَلَى تَأْمِينِ الْخَلْقِ أَنْ يَقَعَ فِي ذَلِكَ الْمَكْتُوبِ تَبْدِيلٌ أَوْ تَغْيِيرٌ مِنْ شَيْطَانٍ حَاسِدٍ أَوْ غَيْرِهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ جَمِيعَ الْمَعَاصِي إِنَّمَا تَقَعُ فِي الْأَرْضِ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَتَرْفَعُ رُسُومُهَا الْحَفَظَةُ إِلَى مَا تَحْتَ الْعَرْشِ أَيْضًا، فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ رَسْمَ سَبْقِيَّةِ الرَّحْمَةِ لِلْغَضَبِ قَدْ اسْتَعْلَى فَوْقَ مُوجِبَاتِ الْغَضَبِ حِسًّا، كَمَا اسْتَعْلَى مَعْنَى وَحُكْمًا، وَمَا اسْتَعْلَى حِسًّا وَمَعْنَى فَهُوَ الْغَالِبُ لِمَا تَحْتَهُ حِسًّا وَمَعْنَى.

(1) فِي (أ): إِلَى

(2) عِنْدَهُ: لَيْسَتْ فِي (أ)

وَأَيْضًا فَإِنَّ الْعَرْشَ هُوَ سَقْفُ الْجَنَّةِ، فَوُضِعَ ذَلِكَ الْمَكْتُوبُ فَوْقَ سَقْفِهَا  
إِشَارَةً إِلَى أَنَّ جَمِيعَ مَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ وَاللَّذَّةِ وَالسُّرُورِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ آثَارِ رَحْمَةِ  
اللَّهِ تَعَالَى، وَتَحْتَ الْحُكْمِ بِهَا، لَا<sup>(1)</sup> مِنْ آثَارِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ اسْتِحْقَاقًا،  
وَأَنَّهَا مُوجِبَاتٌ فِعْلُهَا كَمَا يَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ أَذَلَّ اللَّهُ تَعَالَى بِدَعَتِهِمْ.

وَأَيْضًا، لَمَّا كَانَتْ رَحْمَةُ الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَالَتْ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلَ<sup>(2)</sup>  
الْأَرْضِ جَعَلَ رَسْمَهَا<sup>(3)</sup> فَوْقَ الْجَمِيعِ عَلَى الْعَرْشِ، تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّ تَصَرُّفَاتِهِمْ  
وَلَذَاتِهِمْ الْحِسِّيَّةَ وَالْمَعْنَوِيَّةَ إِنَّمَا هِيَ تَحْتَ تِلْكَ الرَّحْمَةِ الَّتِي تَفْضِلُ الْمَوْلَى  
الْكَرِيمَ بِكُتُبِهَا، وَاعْتَنَى بِلُزُومِهَا وَتَغْلِيْبِهَا عَلَى الْغَضَبِ.

وَأَيْضًا، يَحْتَمِلُ أَنَّ ذَلِكَ الْمَكْتُوبَ وَضِعَ فَوْقَ الْعَرْشِ، دُونَ سَائِرِ  
الْجِهَاتِ، تَنْبِيْهَا عَلَى سُرْعَةِ وُصُولِ الرَّحْمَةِ لِمَنْ شَاءَ سُبْحَانَهُ<sup>(4)</sup> مِنْ أَهْلِ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لِأَنَّ وُصُولَ الشَّيْءِ النَّازِلِ مِنْ عُلُوٍّ أَسْرَعُ مِنْ وُصُولِ  
الشَّيْءِ الْآتِي مِنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَوَجْهُ الْمُنَاسَبَةِ فِي تَرْتِيبِ الْكُتُبِ بِسَبْقِ الرَّحْمَةِ عَلَى خَلْقِ الْعَوَالِمِ أَنَّهُ  
جَعَلَ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ بِالْكِنَايَةِ الرَّحْمَةَ وَالْغَضَبَ تَسَابِقًا عِنْدَ خَلْقِ  
الْعَوَالِمِ كَفَرَسِي رِهَانٍ إِلَى الْعَوَالِمِ لِيُظْفَرَ مَنْ سَبَقَ مِنْهُمَا بِالْحِظِّ الْأَوْفَرِ مِنْ

(1) فِي (أ): لِأَنَّ

(2) أَهْلُ: لَيْسَتْ فِي (أ)

(3) فِي (أ): رَحْمَتُهُ

(4) فِي (ب): تَعَالَى

العَوَالِمِ، وَلَا يَكُونُ لِمَسْبُوقٍ مِنْهُمَا<sup>(1)</sup> إِلَّا الْقَلِيلُ الَّذِي فَضَلَ عَنِ السَّابِقِ، فَسَبَقَتْ الرَّحْمَةُ الْغَضَبَ<sup>(2)</sup>، فَحَازَتْ مِنَ الْعَوَالِمِ أَكْثَرَهَا وَهُوَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ كُلِّهَا مَعَ كَثَرَتِهِمْ وَكَثِيرٌ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَلَمْ يَبْقَ لِلْغَضَبِ الْمَسْبُوقِ إِلَّا الْقَلِيلُ مِمَّنْ يَنْفُذُ فِيهِ الْوَعِيدُ بِالْخُلُودِ مِنْ كَفَرَةِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَكَتَبَ رَسْمَ هَذِهِ السَّبْقِيَّةِ حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْغَضَبُ أَنْ يَزِيدَ شَيْئًا عَلَى هَذَا الْقَلِيلِ الَّذِي جَاءَ فِي نَصِيْبِهِ.

فَانْظُرْ هَذِهِ الِاسْتِعَارَةَ مَا أَلْطَفَهَا وَأَدَلَّلَهَا عَلَى عَظِيمِ فَضْلِ الْمَوْلَى الْكَرِيمِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَسَعَةِ كَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ، حَيْثُ جَعَلَ الرَّحْمَةَ سَابِقَةً لِلْغَضَبِ، وَلَوْ شَاءَ لَعَكَسَ، إِذْ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ، وَلَا حَجَرَ عَلَيْهِ، وَلَا حَقَّ لِمَخْلُوقٍ عَلَيْهِ، تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

(1) ليست في (أ)

(2) قال القاضي عياض: «سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي»: هذه استعارة لكثرة الرفق والرحمة وشمولهما على العالمين، فكأنها الغالب، ولذلك يقال: غلب على فلان حبُّ المال، وغلب عليه الكرم، والغالب عليه العقل، أي: أكثر خصاله أو أفعاله، وإلا فغضب الله تعالى ورحمته صفتان من صفاته راجعتان إلى إرادته ثواب المطيع وعقاب العاصي، وصفاته لا توصف بغلبة إحداها على الأخرى ولا بسبقها لها، لكنها استعارة على مجاز كلام العرب وبلاغتها في المبالغة. (مشارك الأنوار، ج 2/ ص 133) والحديث أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الروم: ٢٧]، ومسلم في التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

قَوْلُهُ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»<sup>(1)</sup>

قِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ مَعَهُ بِالْغُفْرَانِ إِذَا ظَنَّهُ حِينَ يَسْتَغْفِرُ، وَبِالْقَبُولِ إِذَا ظَنَّهُ حِينَ يَتُوبُ، وَبِالْإِجَابَةِ إِذَا ظَنَّهَا حِينَ يَدْعُو، وَبِالْكَفَايَةِ لَهُ مِنْ هَمِّهِ إِذَا ظَنَّهَا حِينَ<sup>(2)</sup> يَسْتَكْفِي وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، لِأَنَّ هَذِهِ صِفَاتٌ لَا تَظْهَرُ إِلَّا إِذَا أَحْسَنَ ظَنَّهُ بِالْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَكَذَا يُحَسِّنُ الظَّنَّ بِقَبُولِ الْعَمَلِ عِنْدَ فِعْلِهِ إِيَّاهُ، وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ»<sup>(3)</sup>، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْتَغْفِرِ وَالتَّائِبِ وَالِدَّاعِي وَالْعَامِلِ أَنْ يَأْتُوا ذَلِكَ مُوقِنِينَ بِالْإِجَابَةِ بِوَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى الصَّادِقِ. وَأَمَّا لَوْ فَعَلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وَهُوَ يَظُنُّ أَنْ لَا تُقْبَلَ وَلَا يَنْفَعُهُ فَذَلِكَ قُنُوطٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْقُنُوطُ كَبِيرَةٌ.

وَأَمَّا ظَنُّ الْمَغْفِرَةِ مَعَ الْإِصْرَارِ عَلَى الذَّنْبِ<sup>(4)</sup>، وَرَجَاءُ<sup>(5)</sup> الثَّوَابِ مِنْ غَيْرِ الْعَمَلِ، فَذَلِكَ جَهْلٌ وَغُرُورٌ، وَيَجْرُ إِلَى مَذْهَبِ الْمُرْجِئَةِ، وَلَيْسَ مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ فِي شَيْءٍ؛ لِأَنَّ الظَّنَّ تَرْجِيحُ أَحَدِ الْجَائِزَيْنِ لِسَبَبٍ يَقْتَضِي التَّرْجِيحَ، فَإِذَا خَلَا عَنِ السَّبَبِ فَإِنَّمَا هُوَ غُرُورٌ وَتَمَنٍّ.

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل

عمران: ٢٨] برقم (4705)

(2) ظنها حين: ليس في (أ)

(3) رواه الترمذي في جامعه برقم (3479) والحاكم في مستدركه (ج 1/ ص 493)

(4) في (ب): المعصية

(5) رجاء: ليست في (ب)



فَالظَّنُّ فِي الْحَدِيثِ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ إِذَا رَدَدْنَاهُ  
لِصِدْقِ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا وَعَدَ بِهِ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، وَأَنْ يَكُونَ عَلَى  
بَابِهِ إِذَا رَدَدْنَاهُ لِئَلَّا يَكُونَ الْعَامِلُ بِخُصُوصِهِ ذَلِكَ الْمَوْعُودَ بِهِ.

قَوْلُهُ: «وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي»<sup>(1)</sup>

أَيُّ: مَعَهُ بِالتَّائِسِ بِهِ وَالْغِنَى بِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، حَتَّى يَزُولَ  
وَحْشُهُ، وَتَطْمَئِنَّ نَفْسُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) ❦

[الرعد: ٢٨].

وَهَذَا لَا زِمَ الْمَعِيَةِ الْمَحْسُوسَةِ الْمَكَانِيَّةِ، وَثَمَرَتُهَا الْمَقْصُودُ مِنْهَا، فَعَبَّرَ  
بِهَا عَنْ لَا زِمِهَا وَثَمَرَتِهَا، عَلَى طَرِيقِ التَّقْرِيبِ وَالْمُبَالَغَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

قَوْلُهُ: «ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي»<sup>(2)</sup>

أَيُّ: فِي ذَاتِي، يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ  
خَالِيًا، بِحَيْثُ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ أَحَدٌ، أَثَابَهُ جَلَّ وَعَلَا بِفَضْلِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَا يَطَّلِعُ  
عَلَيْهِ أَحَدٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل

عمران: ٢٨] برقم (4705)

(2) التخريج السابق.

قَوْلُهُ: «ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»<sup>(1)</sup>

يَعْنِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُنَوِّهُ بِاسْمِهِ فِيهِمْ، وَيَأْمُرُ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ يُنَادِيَ بِذِكْرِهِ فِي مَلَائِكَةِ السَّمَاوَاتِ.

قَوْلُهُ: «وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا»<sup>(2)</sup> إِلَى آخِرِهِ.

لَا شَكَّ أَنَّ الْحَرَكَةَ وَالسُّكُونَ مُسْتَحِيلَانِ عَلَى الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ لِأَنَّهُمَا مِنْ صِفَاتِ الْمُحَدَّثَاتِ<sup>(3)</sup>، فَوَجَبَ التَّأْوِيلُ، فَالذَّرَاعُ وَالْبَاعُ<sup>(4)</sup> كِنَايَةٌ عَنْ مُضَاعَفَةِ الثَّوَابِ، وَمُقَابَلَةِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ بِأَكْثَرِ مِنْهُ<sup>(5)</sup>.

---

(1) التخريج السابق.

(2) التخريج السابق.

(3) في (ب): الحوادث

(4) عياض: الباعُ والبُوعُ والبُوعُ بالفتح والضم واحدٌ، وهو طول ذراعي الإنسان وعَصْدِيهِ وعَرَضُ صدره. والمراد هنا في حق الله تعالى من مجيئه كذلك أو المجيء إليه وتمثيله بالذراع والباع والمشي والهرولة: مجازُ كلام العرب، والاستعارة لِمُجَازَاةِ اللَّهِ عَبْدَهُ عِنْدَ طَاعَتِهِ لَهُ وَإِنَابَتِهِ إِلَيْهِ وَإِقْبَالِهِ عَلَى عِبَادَتِهِ بَقَبُولِ تَوْبَتِهِ وَتَيْسِيرِهِ لَطَاعَتِهِ وَمَعُونَتِهِ عَلَيْهَا وَتَمَامِ تَوْفِيقِهِ وَهِدَايَتِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ. (مشارق الأنوار، ج 1/ ص 104 - 105)

(5) عياض: تَقَرَّبُ اللَّهُ إِلَى عِبِيدِهِ بِهِدَايَتِهِ إِيَّاهُمْ وَشَرْحِهِ صُدُورَهُمْ وَتَنْبِيهِهِ عَلَى مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيْهِ، وَكَأَنَّ الْمَعْنَى: إِذَا قَصِدَ ذَلِكَ وَعَمِلَهُ أَعْنَتَهُ عَلَيْهِ وَسَهَّلَتْهُ لَهُ وَأَتَيْتَهُ مِمَّا طَلَبَ مَا لَمْ يَحْتَسِبْ. وَيَكُونُ أَيْضًا إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِالطَّاعَةِ فِي الدُّنْيَا جَازِيَتُهُ فِي الْآخِرَةِ بِأَضْعَافِهَا، وَسُمِّيَ الثَّوَابُ تَقَرُّبًا لِمُقَابَلَةِ الْكَلَامِ وَتَجْنِيسِهِ، وَالشَّيْءُ يُسَمَّى بِمَا كَانَ مِنْ سَبَبِهِ وَأَجَلِهِ. (مشارق الأنوار، ج 2/ ص 176)

وَالْهَرُولَةُ<sup>(١)</sup> كِنَايَةٌ عَنِ الْإِسْرَاعِ بِذَلِكَ الثَّوَابِ، إِذْ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَامِلِ<sup>(٢)</sup>  
إِلَّا انْقِضَاءُ لَحْظَةِ الْعُمْرِ مَعَ مَا يُمِدُّهُ بِهِ سُبْحَانَهُ عَاجِلًا فِي حَيَاتِهِ مِنَ الْكَرَامَاتِ،  
وَلَذِيذِ الْمُنَاجَاةِ، وَالْأَنْسِ، وَالْمَحَبَّةِ، وَالشَّوْقِ، وَلَطِيفِ الْمُعَامَلَاتِ.

وَإِذَا اجْتَمَعَ لِلْعَبْدِ الضَّعِيفِ مِنَ الْمَوْلَى الْكَرِيمِ مُضَاعَفَةُ الثَّوَابِ وَالْإِسْرَاعُ  
بِهِ، انْحَاشَ بظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ إِلَى جَانِبِ مَوْلَاهُ تَعَالَى، وَلَا زَمَ - إِنْ سَاعَدَهُ التَّوْفِيقُ -  
أَبْوَابَ طَاعَتِهِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِلَذَّةٍ وَنَشَاطٍ إِلَى أَنْ يَلْقَاهُ.

وَأَعْلَمَ أَنَّ الدَّرَاعَ وَالْبَاعَ كِنَايَةٌ عَنْ مُطْلَقِ التَّضْعِيفِ، وَلَمْ يُؤْتَ بِهِمَا لِبَيَانِ  
قَدْرِ التَّضْعِيفِ، حَتَّى يُسْتَشْكَلَ بِأَنَّ الدَّرَاعَ يَقْتَضِي أَنَّ مُجَازَاتِ الْحَسَنَةِ بِمِثْلِهَا،  
لَا<sup>(٣)</sup> بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا وَسَبْعِمِئَةٍ وَمَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

وَلَنَا أَنْ نُجِيبَ أَيْضًا بِأَنَّ الْمُرَادَ فِي الْمُجَازَى بِهِ ذِرَاعُ قُدْرَةِ اللَّهِ وَبَاعُهَا،  
عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِعَارَةِ وَالتَّمْثِيلِ، وَلَا يَعْلَمُ قَدْرُهُمَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَالْمُجَازَى  
عَلَيْهِ شَبْرُ الْعَبْدِ وَذِرَاعُهُ الضَّعِيفَانِ الْقَصِيرَانِ، فَعَلَى هَذَا لَا يَرُدُّ الْإِشْكَالُ مِنْ  
أَصْلِهِ<sup>(٤)</sup>، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(١) عياض: الهرولة: بين المشي والعدو، ومعناه في حق الله تعالى الذي لا تجوز عليه الحركة

والانتقال: سرعة إجابته لعبده وقرب تقربه من هدايته ورحمته. قال وكيع: معناه: في سرعة

وإجابة. (راجع مشارق الأنوار، ج 2/ ص 268)

(٢) في (ب): بين العامل وبينه

(٣) بمثلها لا: ليست في (ب)

(٤) في (أ): أصل

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] (١)

أَيُّ: إِلَّا ذَاتَهُ الَّتِي لَا مِثْلَ لَهَا، وَأَمَّا الْوَجْهُ الَّذِي بِمَعْنَى الْجَارِحَةِ فَمُسْتَحِيلٌ عَلَى الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وَعَبَّرَ بِالْوَجْهِ عَنِ الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ لِشَرَفِ اسْمِ الْوَجْهِ. وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى غِنَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ الْخَلْقِ، وَتَنَزُّهِهِ عَنِ الِانْتِفَاعِ بِبُجُودِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، وَأَنَّهُ لَا أُنْسَ لَهُ بِبُجُودِهِمْ، وَلَا اسْتِيحَاشَ وَلَا هَمَّ وَلَا حُزْنَ عِنْدَ إِهْلَاكِهِمْ، لِأَنَّ الْمُلُوكَ يُشَاهِدُ كَثْرَةَ التَّغْيِيرِ وَالتَّبَدُّلِ (٢) فِي وُجُوهِهِمْ عِنْدَ فَقْدِ خَوَاصِّهِمْ وَأَهْلِ طَاعَتِهِمْ وَالْمُتَهَالِكِينَ مِنَ الْعَبِيدِ فِي خِدْمَتِهِمْ، وَالْوُقُوفِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ عِنْدَ أَمْرِهِمْ وَنَهْيِهِمْ، حَتَّى تَزُولَ وَتَهْلِكَ مَحَاسِنُ وَجُوهِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْحُزَنِ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى نَفْيًا لِمَا يُتَوَهَّمُ مِنْ ذَلِكَ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

(١) قال الحافظ ابن كثير: هو إخبارٌ بأنه تعالى الدام الباقي الذي تموت الخلائق ولا يموت، كما قال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (١٦) وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿١٧﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧] فَعَبَّرَ بِالْوَجْهِ عَنِ الذَّاتِ، وَهَكَذَا هَاهُنَا ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، أَيُّ: إِلَّا إِيَّاهُ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ». (تفسير ابن كثير، ج ١٠/ ص ٤٩٢)

(٢) في (ب): التبدل والتغير

وَقَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (١٦) وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿١٧﴾  
 [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]، أَي: لَا تَتَغَيَّرُ ذَاتُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ فَنَائِهِمْ، بَلْ يَبْقَى كَمَالُهُ الْأَزَلِّي  
 عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]

يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ «الْيَدُ» بِمَعْنَى الْقُدْرَةِ<sup>(١)</sup>، وَثَبَّتْ تَثْنِيَّةُ تَكْثِيرٍ بِاعْتِبَارِ  
 تَعْلُقَاتِهَا الْكَثِيرَةِ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ «الْيَدُ» بِمَعْنَى النِّعْمَةِ، وَثَبَّتْ بِاعْتِبَارِ أَنَّهَا مُنْحَصِرَةٌ فِي  
 نِعْمَتَيْنِ: نِعْمَةِ جَلْبِ الْمَنَافِعِ، وَنِعْمَةِ دَفْعِ الْمَضَارِّ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ  
 آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُصَاحِبًا لِنِعْمَتَيْنِ: نِعْمَةِ الْجَلْبِ، وَنِعْمَةِ الدَّفْعِ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ «الْيَدَانِ» أَحَدُهُمَا<sup>(٢)</sup> يَدَ قُدْرَةٍ، وَالْأُخْرَى<sup>(٣)</sup> يَدَ نِعْمَةٍ، بِنَاءً  
 عَلَى أَنَّ الْمُثْنَى لَا يُشْتَرَطُ فِي مُفْرَدِيهِ اتِّفَاقُهُمَا لَفْظًا وَمَعْنَى، بَلْ اتِّفَاقُهُمَا لَفْظًا  
 فَقَطْ، وَيَكُونُ فِيهِ حِينَئِذٍ تَعْرِضٌ بِإِبْنِيسَ أَنَّهُ خَلَقَهُ بِيَدٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ يَدُ الْقُدْرَةِ،  
 وَلَمْ تَصْحَبْهُ يَدُ النِّعْمَةِ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْكَافِرَ لَا يُقَالُ فِي حَقِّهِ: «مُنْعَمٌ عَلَيْهِ»؛ نَظَرًا  
 لِمَالِ أَمْرِهِ.

(١) قال الشيخ أحمد بن إسماعيل الكوراني: اتفق القائلون بتأويل المتشابه على أن اليد في حقه  
 تعالى عبارة عن القدرة؛ لأن اليد في الإنسان مظهر أكثر الأشياء، وحيث يطلق لفظ التثنية أو  
 اليمين يراد كمال الاقتدار. (الكوثر الجاري، ج ١١/ ص ٤٤٠)

(٢) ليست في (أ)

(٣) ليست في (أ)

قَوْلُهُ: «وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ»<sup>(1)</sup>

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكبائر والصغائر، ولكن عظيم خوفهم من المولى تبارك وتعالى وتعظيمهم لجانب<sup>(2)</sup> أمره ونهيه، يسمون<sup>(3)</sup> ما هو رخصة أو وقع منهم نسياناً «خطيئة» تواضعاً منهم، وخوفاً، وهيئة، وحياء، ولو لم يكن ذلك في نفس الأمر خطيئة ولا ذنباً، بل قد يكون هو طاعة.

قَوْلُهُ: «فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي»<sup>(4)</sup>

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَدَنِي﴾ [ص: ٧٥] رقم (7410) عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُجْمَعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ فَيَقُولُونَ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَمَا تَرَى النَّاسَ؟ خَلَقَكَ اللَّهُ بِبَدَنِهِ، وَأَسَجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، اسْتَفَعْنَا لَنَا إِلَى رَبِّكَ مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَالِكَ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ» حديث الشفاعة الطويل.

(2) في (ب): لجانب

(3) في (أ): يسمي

(4) التخريج السابق، وفيه: «فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ». قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: قَالَ الْخَطَّابِيُّ: هَذَا يُوهِمُ الْمَكَانَ، وَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: فِي دَارِهِ الَّتِي اتَّخَذَهَا لِأَوْلِيَائِهِ وَهِيَ الْجَنَّةُ وَهِيَ دَارُ السَّلَامِ، وَأُضِيفَتْ إِلَيْهِ إِضَافَةٌ تَشْرِيفٌ، مِثْلُ «بَيْتُ اللَّهِ» وَ«حَرَمُ اللَّهِ». (فتح الباري، ج 13/ ص 429) وأصل كلام الخطابي في شرحه على صحيح البخاري المسمى بأعلام الحديث (ج 4/ ص 2355) وقد أورده ابن حجر ملخصاً.

وقال القاضي البيضاوي: قوله: «فِي دَارِهِ» يريد به الجنة، وأضافها إلى الله تعالى للشرف والكرامة، وبلاستئذان عليه: أن يدخل مكاناً لا يقف فيه داع إلا استُجيبَ، ولا يقوم به سائلٌ

فِيهِ حَذْفٌ مُضَافٍ<sup>(1)</sup>، تَقْدِيرُهُ: «أَسْتَأْذِنُ<sup>(2)</sup> عَلَى مَحَلِّ رُؤْيَةِ رَبِّي الْمَلَكِ الْمُوَكَّلَ عَلَى بَابِهِ»، وَلَعَلَّهُ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُسَمَّى فَحْصَةُ الْعَرْشِ: دَارٌ عَظِيمَةٌ أَوْسَعُ مِنَ الْجَنَانِ كُلِّهَا، بِحَيْثُ تَسْعُ جَمِيعُ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُ مِنْهُمْ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ، وَأَكْثَرُهَا مِيَاهًا وَنَعْمًا وَبَسَاتِينَ، فِيهَا يَجْتَمِعُ جَمِيعُ أَهْلِ الْجَنَانِ لِرُؤْيَةِ الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ، وَلَمْ تَعُدَّ إِلَّا لِلرُّؤْيَةِ، وَلَهَا بَابٌ عَظِيمٌ، وَمَلَكٌ مُوَكَّلٌ عَلَيْهَا.

وَهَذِهِ الدَّارُ الَّتِي اخْتَارَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَهَا مَحَلًّا لِلتَّمَتُّعِ بِرُؤْيِيهِ، وَالتَّعَمُّعِ هُنَاكَ يَوْمَ الرُّؤْيَةِ بِمَا لَا يُمَكِّنُ وَصْفُهُ، بِمَا لَا يُرَى فِي سَائِرِ الْجَنَانِ مِنْ جَلَالٍ كَرَمِهِ وَجُودِهِ وَنِعَمِهِ، مِنْ غَيْرِ حُلُولٍ بِدَاتِهِ الْعَلِيَّةِ هُنَاكَ، لِتَعَالِيهِ عَنِ الْاِخْتِصَاصِ بِالْأَحْيَازِ وَالْأَمْكِنَةِ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ مِنْ لَازِمٍ مَنْ اسْتَقَرَّ بِدَارٍ أَنْ<sup>(3)</sup> لَا يُرَى عَادَةً وَلَا يُزَارَ وَلَا يُخَاطَبَ إِلَّا فِيهَا، وَيَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ مَنْ قَصَدَ زِيَارَتَهُ،

---

إِلَّا أَجِيبَ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْوَاقِفِ فِيهِ وَبَيْنَ رَبِّهِ حِجَابٌ. (تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، ج 3/ ص 408 دار النوادر)

وَقَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْكُورَانِي: «فِي دَارِهِ» أَي: فِي الْجَنَّةِ لِأَنَّ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى السَّلَامَ، وَمِنْ أَسْمَاءِ الْجَنَّةِ «دَارُ السَّلَامِ»؛ ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥] أَوْ الْإِضَافَةُ لِلتَّشْرِيفِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَدْخِلْ جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٣٠]. (الكوثر الجاري، ج 11/ ص 465)

(1) ليست في (ب)

(2) تقديره استأذن: ليس في (أ)

(3) ليست في (أ)

وَرُؤْيَتُهُ وَالشَّكْوَى لَهُ وَالشَّفَاعَةَ لَدَيْهِ فِي تِلْكَ الدَّارِ، أَطْلَقَ عَلَى هَذِهِ الْفَحْصَةِ الَّتِي جَعَلَهَا مَوْلَانَا جَلَّ وَعَلَا مَحَلًّا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَثْبَتَ لَهَا لَوَازِمَ الْحُلُولِ بِالذَّاتِ مِنْ غَيْرِ حُلُولٍ لَهُ فِيهَا، أَنَّهَا دَارُهُ، وَأَنَّ الْآتِي لِبَابِهَا الْمُوَكَّلَ عَلَيْهِ الْمَلَكُ يَقُولُ: «أَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي».

**قَوْلُهُ: «فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا»<sup>(1)</sup>**

يَعْنِي: فَإِذَا دَخَلْتُ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ الْمُعَدَّ لِرُؤْيَتِهِ تَعَالَى، وَأُزِيلَ عَنْ عَيْنِي الْحِجَابُ الْمَانِعُ مِنْ رُؤْيَةِ الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَخَلَقَ فِي عَيْنِي الْبَصَرَ الْمُتَعَلِّقَ بِرُؤْيَتِهِ جَلَّ وَعَلَا عَلَى مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ مِنَ التَّنَزُّهِ عَنِ الْجِسْمِيَّةِ، وَالْعَرَضِيَّةِ وَالْحُلُولِ بِالْأَحْيَازِ وَالْأَمَكِنَةِ، وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا.

**قَوْلُهُ: «فَأَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَرْجَعُ»<sup>(2)</sup>**

يَعْنِي: ثُمَّ أَرْجَعُ إِلَى الْمَحَلِّ الْمُعَدَّ لِرُؤْيَةِ الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِأَرَاهُ هُنَاكَ، وَأَشْفَعَ عِنْدَهُ ثَابِتَةً، مَعَ اسْتِحَالَةِ حُلُولِهِ تَعَالَى فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ، أَوْ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَمَكِنَةِ، وَإِنَّمَا الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى شَرَّفَ تِلْكَ الدَّارَ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْجِنَانِ بِأَنْ جَعَلَهَا مَحَلًّا لِشَرِيفِ رُؤْيَتِهِ، وَكَشَفَ الْحِجَابَ عَنْ مُشَاهَدَتِهِ، وَلَذِيذِ خِطَابِهِ، وَمُبَرَّتِهِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْفَائِزِينَ بِهَذِهِ الْمِنْحِ الْجَلِيلَةِ، وَالظَّافِرِينَ بِهَذِهِ النِّعَمِ الْحَفِيلَةِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، بِجَاهِ نَبِيِّكَ وَمُصْطَفَاكَ،

(1) التخریج السابق

(2) التخریج السابق



الشَّفِيعَ الْمُشَفَّعَ عِنْدَكَ، سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ، عَلَيْهِ مِنْ مَوْلَانَا جَلٍّ وَعَزٍّ،  
أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ.

قَوْلُهُ: «عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرُوحٌ مِنْهُ»<sup>(1)</sup>

أَضَافَتْهُ<sup>(2)</sup> إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِضَافَةً مِلْكٍ وَتَشْرِيفٍ.

قَوْلُهُ: «يَدُ اللَّهِ مَلَأَى»<sup>(3)</sup>

أَيُّ: قُدْرَتُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، مَثَلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عُمُومَ تَعَلُّقِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى  
بِجَمِيعِ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ مِنَ الْعَطَايَا وَالنَّفَقَاتِ عَلَى خَلْقِهِ مِنْ غَيْرِ عُسْرٍ، وَلَا مُعَانَةٍ،  
وَلَا عَجْزٍ، وَلَا ضَعْفٍ، بِالْيَدِ الَّتِي اجْتَمَعَ فِيهَا جَمِيعُ مَا أُريدَ إعْطَاؤُهُ، بِحَيْثُ لَا  
يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى مُعَانَةٍ فِي جَمْعِهِ.

وَهَذِهِ النَّفَقَاتُ يَدْخُلُ فِيهَا إِمْدَادُ جَمِيعِ جَوَاهِرِ الْعُلُويَّاتِ وَالسُّفُلِيَّاتِ  
بِأَعْرَاضِهَا الَّتِي هِيَ شَرْطٌ فِي بَقَائِهَا، إِذِ الْأَعْرَاضُ لَا بَقَاءَ لَهَا، وَإِمْدَادُ الْأَحْيَاءِ  
كُلِّهِمْ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ بِأَعْرَاضِ الْحَيَاةِ وَالْإِدْرَاكَاتِ وَالْاجْتِمَاعَاتِ بَيْنَ الْأَجْزَاءِ  
وَالْحَرَكَاتِ وَالسَّكِّنَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْوَالِ<sup>(4)</sup> وَالْأَعْرَاضِ الَّتِي لَا يُحِيطُ  
بِهَا إِلَّا مَالِكُهَا وَمُخْتَرِعُهَا رَبُّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ.

(1) التخريج السابق

(2) في (ب): أضافها

(3) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] رقم

(7411) عن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَدُ اللَّهِ مَلَأَتْ لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ،

سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ».

(4) في (أ): الأصول

**قَوْلُهُ: «وَيَبِيدُهُ الْأُخْرَى»<sup>(1)</sup>**

سَمَّى أَيْضًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَعَلُّقًا آخَرَ لِقُدْرَتِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِنَوْعٍ آخَرَ مِنَ الكَائِنَاتِ غَيْرِ النَّوعِ الَّذِي ذَكَرَ أَوَّلًا «يَدًا»، وَلَا شَكَّ أَنَّ تَعَلُّقَاتِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى مُتَعَدِّدَةٌ لَا نِهَآيَةَ لَهَا، فَكَأَنَّ كُلَّ تَعَلُّقٍ يَدُ تَتَصَرَّفُ بِهِ الْقُدْرَةُ فِي ذَلِكَ الْمُتَعَلِّقِ المَخْصُوصِ، فَلِلْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ مِنْ أَيَادِي التَّصَرُّفَاتِ فِي المُمَكِّنَاتِ مَا لَا نِهَآيَةَ لَهُ، وَلَا يُشْغِلُهُ سُبْحَانُهُ تَصَرُّفٌ مِنْهَا عَنْ تَصَرُّفٍ غَيْرِهِ، فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يُشْغِلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ.

**قَوْلُهُ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَرْضَ»<sup>(2)</sup> إِلَى آخِرِهِ**

قَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُهُ فِي بَابِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٢].

**قَوْلُهُ: «إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ عَلَى إِصْبَعٍ»<sup>(3)</sup> إِلَى آخِرِهِ.**

(1) التخریج السابق

(2) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] رقم (7412)

(3) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] رقم (7414) قال القاضي أبو بكر بن العربي: هذا الحديث صحيح قد بينا معانيه في كتب الأصول «المتوسط» و«العواصم» وغيرهما، وذكرنا اختلاف الناس في تأويله، وأن من وقف فيه ونفى التشبيه والتمثيل وأطلق اللفظ لوروده في الشرع وقدس الذات الكريمة عن الجارحة فهو معذور، ومن تجاوز هذا فهو كافر مغرور، وحققنا أن من تأول فهو مصيب، وتأويله بين، فإن الله خلق العبد ووهب له القدرة على التصرف، وجعل له اليد والكف والأصابع أصلا في تصريف أفعاله، فضرب له المثل في نفسه به، وهو القائل سبحانه: ﴿صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الروم: ٢٨] وأن العبد يصرف متعلقات قدرته في مآربه

قَدْ عَرَفْتَ أَنَّ الْجِسْمِيَّةَ وَالْجَوَارِحَ مُسْتَحِيلَةٌ عَلَى الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى،  
فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْأَصَابِعُ هَاهُنَا أَصَابِعَ مَلِكٍ عَظِيمٍ رَفَعَ سُبْحَانَهُ عَلَيْهَا هَذِهِ  
الْأَجْرَامَ وَأَمْسَكَهَا عَلَيْهَا بِقُدْرَتِهِ، لَا بِاسْتِعَانَةٍ بِتِلْكَ الْأَصَابِعِ، بَلْ عِنْدَهَا، لَا بِهَا،  
كَسَائِرِ الْأَسْبَابِ الْعَادِيَّةِ، فَتَكُونُ الْأَصَابِعُ - عَلَى هَذَا - حَقِيقَةً<sup>(1)</sup>.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْأَصَابِعُ اسْتُعْمِلَتْ عَلَى طَرِيقِ الْمَجَازِ وَالتَّمَثِيلِ فِي  
تَعَلُّقَاتِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى لِإِمْسَاكِ هَذِهِ الْأَجْرَامِ الْعَظِيمَةِ، وَعُبِّرَ عَنْ كُلِّ تَعَلُّقٍ<sup>(2)</sup>  
مِنْهَا بِالْإِصْبَعِ إِشَارَةً إِلَى عَدَمِ الْكُلْفَةِ وَالتَّعَبِ فِي إِمْسَاكِهِ تَعَالَى لِهَذِهِ الْأَجْرَامِ  
الْعَظِيمَةِ بِقُدْرَتِهِ.

وَكَانَتْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَعَلَ بِطَرِيقِ الاسْتِعَارَةِ الْمُكْنِيَةِ الْقُدْرَةَ الْأَزَلِيَّةَ لَمَّا  
كَانَ بِهَا التَّصَرُّفُ بِمَثَابَةِ الْيَدِ، وَتَعَلُّقَاتُهَا بِالْمُمْكِنَاتِ بِمَثَابَةِ الْأَصَابِعِ عَلَى سَبِيلِ

بكفه وأصابعه، فأخبر الباري تعالى على لسان نبيه في تصديقه لقائله بأنه مصرّف  
للمخلوقات، وأوضح كيفية تصرفها، فهو الذي يمسك السماء والأرض والماء والجبال  
والخلق، وضرب مثلاً لإمساك هذه الخمس يد العبد بأصابعه الخمس. (عارضة الأحوذى،  
ج 12/ ص 118 - 119)

(1) عياض: قوله «يضع السماوات على إصبع» الحديث، قيل: الإصبع صفة سمعية لله تعالى لا  
يقال فيها أكثر من ذلك كاليد، وهو مذهب الأشعري وبعض أصحابه. وقد يحتمل أن يكون  
إصبعاً من أصابع ملائكته، أو خلقاً من خلقه سماه إصبعاً. وقيل: هي كناية عن القدرة وعن  
النعمة، وقيل: قد يكون المراد ضرب المثل من أنه لا تعب عليه ولا لغوب. (مشارك  
الأنوار، ج 1/ ص 47)

(2) في (أ): متعلق

التَّمثِيلِ وَالتَّقَرُّبِ، تَنْبِيْهَا عَلَى تَيْسِّرٍ <sup>(1)</sup> جَمِيعِ التَّصَرُّفَاتِ وَسُهُولَتِهَا بِلَا كُفْلَةٍ أَصْلًا فِي حَقِّ الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَنَّ كُلَّ تَصَرُّفَاتِهِ تَعَالَى فِي السُّهُولَةِ بِمَثَابَةِ مَنْ رَفَعَ شَيْئًا حَقِيرًا عَلَى إَصْبَعٍ، فَهُوَ فِي السُّهُولَةِ <sup>(2)</sup> بِحَيْثُ لَا يُحَسُّ رَفْعُهُ أَصْلًا.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْأَصَابِعُ أَسْمَاءً لِبَعْضِ مَلَائِكَتِهِ <sup>(3)</sup>، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

بَابُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ» <sup>(4)</sup>

تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ الْغَيْرَةِ فِي حَقِّهِ تَعَالَى فِي بَابِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ <sup>(5)</sup>: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ إِطْلَاقُ الشَّخْصِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ أَفْعَلَ التَّفْضِيلِ إِنَّمَا يَكُونُ مَوْصُوفُهُ مِنْ جِنْسِ الْمُفْضَلِ <sup>(6)</sup> عَلَيْهِ إِذَا أُضِيفَ إِلَيْهِ، أَمَّا إِذَا جَرَّ الْمُفْضَلُ عَلَيْهِ بِ«مِنْ» فَلَا يَقْتَضِي ذَلِكَ، وَلِهَذَا يَصِحُّ أَنْ تَقُولَ: «الْإِنْسَانُ أَسْرَعُ مِنَ الْفَرَسِ»، أَوْ «أَبْلَدُ مِنَ الْحِمَارِ»، وَ«زَيْدٌ

(1) ليست في (أ)

(2) بمثابة.. السهولة: ليس في (أ)

(3) في (أ): أسماء الملائكة

(4) أخرجه البخاري في الصحيح تعليقا بصيغة الجزم، كتاب التوحيد، باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ». برقم (7416).

(5) في (ب): تعالى

(6) في (أ): المقدور

أَقْطَعُ مِنَ الْحَدِيدِ وَأَصْلَبُ مِنَ الْحَجَرِ»، فَافْهَمَ ذَلِكَ فَقَدْ غَلِطَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ كَثِيرٌ.

قَوْلُهُ: «وَلَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ»<sup>(1)</sup>

يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِ«الْعُذْرِ» الْإِعْذَارَ الَّذِي يَقْطَعُ الْعُذْرَ وَلَا تَبْقَى مَعَهُ حُجَّةٌ. وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا أَنَّهُ رَتَّبَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُنْذِرِينَ وَالْمُبَشِّرِينَ».

وَحُبُّهُ لِهَذَا الْإِعْذَارِ بِمَعْنَى أَنَّهُ حَكَمَ أَنْ لَا يُعَذَّبَ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا بَعْدَهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وَأَمَرَ الْحُكَّامَ أَنْ لَا يُنْفِذُوا حُكْمًا إِلَّا بِأَمْرِهِ<sup>(2)</sup>.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْعُذْرِ إِعْذَارُ عِيْدِهِ إِلَيْهِ بِعَجْزِهِمْ وَتَقْصِيرِهِمْ وَتَوْبَتِهِمْ.

وَمَعْنَى حُبِّهِ لِهَذَا الْعُذْرِ أَنَّهُ يَقْبَلُهُ وَيَغْفِرُ لَهُمْ وَيَسْمَحُ بِفَضْلِهِ لِمَنْ جَاءَ بِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥]، وَيَكُونُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ: «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُنْذِرِينَ وَالْمُبَشِّرِينَ» أَنَّهُ بَعَثَهُمْ مُبَشِّرِينَ لِمَنْ تَابَ وَاعْتَدَرَ مِنْ كُفْرِهِ وَمَعَاصِيهِ بِالْعَفْوِ

(1) التخريج السابق.

(2) في (ب): حكما بدونه.

وَالْعُفْرَانِ<sup>(١)</sup>، وَمُنْذِرِينَ لِمَنْ أَصْرَّ عَلَى كُفْرِهِ وَمَعَاصِيهِ بِشِدَّةِ الْعُقُوبَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

قَوْلُهُ: «وَلَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحَةُ مِنَ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>

هُوَ كِنَايَةٌ عَنْ كَثْرَةِ ثَوَابِهِ جَلَّ وَعَلَا عَلَى<sup>(٣)</sup> مَدَحِ عِبِيدِهِ لَهُ بِمَا نَدَبَهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَسْبِيحِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَحْمِيدِهِ<sup>(٤)</sup> وَتَوْحِيدِهِ.

وَلَا يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ مَحَبَّتُهُ لِهَذَا النَّوعِ بِمَعْنَى الْمَيْلِ إِلَيْهِ وَالْأُنْسِ بِهِ وَالِاتِّدَادِ بِسَمَاعِهِ؛ إِذْ هُوَ جَلَّ وَعَلَا مُنْزَةً عَنْ ذَلِكَ بِوُجُوبِ غِنَاهُ عَنْ حَمْدِ الْحَامِدِينَ.

وَأِنَّمَا عَبَّرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْمَحَبَّةِ عَنْ كَثْرَةِ الثَّوَابِ لِلتَّنْيِيهِ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُثِيبُ عَلَى هَذَا مِثْلَ ثَوَابِ الْمُلُوكِ الْكُرَمَاءِ لِمَنْ مَدَحَهُمْ بِمَا هُوَ أَحَبُّ شَيْءٍ عِنْدَهُمْ، وَقَدْ عَلِمَ مَا تُعْطِيهِ الْمُلُوكُ مِنَ الْعَطَايَا الْحَفِيلَةِ فِي ذَلِكَ، وَأَمَرُهُمْ فِي ذَلِكَ مَشْهُورٌ.

وَهَذَا مَعَ فَقْرِهِمْ وَعَجْزِهِمْ، فَكَيْفَ يَكُونُ عَطَاءُ اللَّهِ الْعَظِيمِ الْوَاسِعِ الْجَوَادِ الْغَنِيِّ الْكَرِيمِ وَثَوَابُهُ لِمَدْحِهِ بِذِكْرِهِ؟! وَقَدْ أَخْبَرَ عَنْهُ الصَّادِقُ الْمُصَدِّقُ أَنَّهُ لَا أَحَدَ<sup>(٥)</sup> أَحَبَّ مِنْهُ فِي ذَلِكَ، أَيُّ: لَا أَحَدَ أَكْثَرَ مِنْهُ عَطَاءً عَلَى ذَلِكَ.

(١) في (ب): والمغفرة.

(٢) التخريج السابق.

(٣) في (ب): عن

(٤) وتكبيره وتحميدته: ليس في (أ)

(٥) أحد: ليست في (أ)

فَتَبَّأَ لِمَنْ يَشْتَغِلْ بِمَدْحِ الْمَخْلُوقِ الْفَقِيرِ الْعَاجِزِ النَّاقِصِ، وَلَا يُشْغِلْ نَفْسَهُ  
بِذِكْرِ مَوْلَاهُ الْغَنِيِّ الْكَرِيمِ وَمَدْحِهِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢].

**بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]**

**قَوْلُهُ: «وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: ﴿أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩]: ارْتَفَعَ»<sup>(١)</sup>.**  
يَعْنِي: ارْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ بِاعْتِبَارِ التَّصَرُّفِ فِيهَا وَالْفِعْلُ لَهَا، لَا بِاعْتِبَارِ  
الْحَرَكَةِ وَالِانْتِقَالَ بِالذَّاتِ الْعَلِيَّةِ إِلَيْهَا؛ لِأَنَّهُ مُسْتَحِيلٌ عَلَيْهِ تَعَالَى<sup>(٢)</sup>.  
وَنَحْوُهُ مَا قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿أَسْتَوَى﴾ عَلَا ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]. يَعْنِي: عَلَا  
عَلَيْهِ قَهْرًا وَتَصَرُّفًا لَهُ وَلِسَائِرِ الْعَوَالِمِ عَلَى وَفْقِ مَشِيئَتِهِ<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح البخاري في كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧].

(٢) قال الإمام مكي بن أبي طالب القيرواني في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]: «أَي: ارْتَفَعَ وَعَلَا، ارْتِفَاعٌ قُدْرَةٌ  
وَتَعْظِيمٌ وَجَلَالَةٌ، لَا ارْتِفَاعٌ نُقْلَةٌ». (تفسير الهداية، ص 7307) وقال في تفسير قوله تعالى:  
﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]: «أَي: عَلَا عَلَيْهِ عُلُوٌّ  
قُدْرَةٌ، لَا عُلُوٌّ مَكَانٌ» (تفسير الهداية، ص 3664)

(٣) وإليه يشير الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾  
[البقرة: ٢٩] حيث فسر الاستواء بالعلو والارتفاع، ثم فسر العلو والارتفاع بقوله: «علا  
عليها علو ملك وسلطان، لا علو انتقال وزوال». (جامع البيان عن تأويل آي القرآن،  
ج 1/ ص 457).

وَأَمَّا الْعُلُوُّ بِالذَّاتِ وَالْجُلُوسُ وَالِاسْتِقْرَارُ فَمُسْتَحِيلٌ عَلَيْهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ مِنْ صِفَاتِ الْأَجْرَامِ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: «وَزَوَّجَنِي مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ»<sup>(٢)</sup>.  
 الْفَوْقِيَّةُ رَاجِعَةٌ إِلَى التَّزْوِيجِ، لَا لِلذَّاتِ الْعَلِيَّةِ.  
 قَوْلُهُ: «إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلَأَتْ»<sup>(٣)</sup>

وَأَكَّدَ الْإِمَامُ الطَّبْرِيُّ ذَلِكَ الْمَعْنَى فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٧): فَقَالَ «يَقُولُ: وَإِنَّا عَالُونَ عَلَيْهِمْ بِالْقَهْرِ، يَعْنِي بِقَهْرِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ. وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ كُلَّ عَالٍ بِقَهْرِ وَغَلْبَةٍ عَلَى شَيْءٍ فَإِنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: هُوَ فَوْقَهُ. (جامع البيان، ج ١٠/ص ٣٧٠)

(١) وَقَالَ الْإِمَامُ الْخَطَّابِيُّ: «لَيْسَ مَعْنَى قَوْلِ الْمُسْلِمِينَ: «إِنَّ اللَّهَ عَلَى الْعَرْشِ» هُوَ أَنَّهُ تَعَالَى مِمَّا سُلِّ لَهُ، أَوْ مُتَمَكِّنٌ فِيهِ، أَوْ مُتَحَيِّزٌ فِي جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِهِ؛ لِأَنَّهُ بَاطِنٌ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ<sup>(١)</sup>، وَإِنَّمَا هُوَ خَبِرٌ جَاءَ بِهِ التَّوْقِيفُ، فَقُلْنَا بِهِ وَنَقَيْنَا عَنْهُ التَّكْيِيفَ؛ إِذْ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. (أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، ص ١٤٧٤)

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَكُنَّا عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧] رَقْم (٧٤٢٠) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اتَّقِ اللَّهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ»، قَالَ أَنَسٌ: لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ شَيْئًا لَكُنْتُمْ هَذِهِ، قَالَ: فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ: «زَوْجَكُنَّ أَهْلِيكُنَّ وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ». وَعَنْ ثَابِتٍ: ﴿وَنُحِفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَنَخْشَى النَّاسَ﴾ [الأحزاب: ٣٧] نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَكُنَّا عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧] رَقْم (٧٤١٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلَأَتْ لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَيَبِيدُ الْأَخْرَى الْفَيْضُ - أَوْ الْقَبْضُ - يَرْفَعُ وَيَنْخَفِضُ».



تَقَدَّمَ تَأْوِيلُهُ. وَسَمَّى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هُنَا الْقُدْرَةَ الْأَزَلِيَّةَ بِاعْتِبَارِ تَعَلُّقِهَا  
 بِهِذِهِ الْكَائِنَاتِ<sup>(1)</sup> الشَّرِيفَةِ الْعَظِيمَةِ الْمُتَكَثِّرَةِ «يَمِينًا» تَشْرِيفًا لِهَذَا الْمُتَعَلِّقِ  
 وَإِشَارَةً إِلَى كَثْرَتِهِ وَصُعُوبَتِهِ بِالنَّظَرِ إِلَى الْعَادَةِ، لَا بِالنَّظَرِ إِلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى،  
 إِذِ الشَّأْنُ أَنَّ الْأَمْرَ الشَّرِيفَ أَوْ الصَّعْبَ إِنَّمَا يُتَنَاوَلُ بِالْيَمِينِ.

وَلَمَّا كَانَ النَّوعُ الْآخَرُ مِنَ الْكَائِنَاتِ دُونَ الْأَوَّلِ أَضَافَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لِتَعَلِّقِ آخَرَ مِنْ تَعَلُّقَاتِ الْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ وَسَمَّاهُ «يَدًا» وَلَمْ يُسَمِّهِ يَمِينًا، فَقَالَ:  
 «وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْقَبْضُ»، أَيُّ: وَبِتَعَلُّقِ آخَرَ لِقُدْرَتِهِ تَعَالَى الْقَبْضُ، إِلَى آخِرِهِ.  
 فَالتَّعَدُّدُ إِنَّمَا هُوَ فِي تَعَلُّقَاتِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى، لَا فِي قُدْرَتِهِ جَلٍّ وَعَلَا لِأَنَّهَا  
 وَاحِدَةٌ لَا تَتَعَدَّدُ، وَمَعَ وَحْدَتِهَا فَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِجَمِيعِ الْمُمَكِّنَاتِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ  
 لَهَا.

**قَوْلُهُ: «كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ»<sup>(2)</sup>**

قال التاودي: «الْفَيْضُ» بالفاء أي: فيض الإحسان بالعتاء، «أَوِ الْقَبْضُ» أي: قبض الأرواح  
 بالموت. وقد يكون الفيض بمعنى الموت، يقال: فاضت نفسه. وعلى هذا ف«أو» للشك من  
 الراوي، وعلى الأول هي بمعنى الواو. (زاد المجدد الساري، ج 6/ ص 527 طبعة دار الكتب  
 العلمية)

(1) في (ب): الكنايات.

(2) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: 7]  
 رقم (7422) عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ  
 عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي».

الْفَوْقِيَّةُ مَكَانُ الْكُتُبِ وَالْمَكْتُوبِ، وَهُمَا فِعْلَانِ حَدِيثَانِ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ تَرْجَعَ لِلذَّاتِ الْعَلِيَّةِ؛ لِتَنْزُهُ تَعَالَى عَنِ الْحَيَزِ وَالْمَكَانِ وَالتَّخْصِصِ بِالزَّمَانِ، وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَى هَذَا فِي بَابِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

**بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].<sup>(١)</sup>**  
يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: تَعْرِجُ إِلَى مَحَلِّ ظُهُورِ حُكْمِهِ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْقَبُولِ وَالرَّدِّ<sup>(٢)</sup>.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى عُرُوجِهِمْ إِلَيْهِ: انْتِهَاءُ الْأُمُورِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِيَحْكُمَ فِيهَا بِمَا شَاءَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَيْهِ رُجْعُ الْأَمْرِ كُلِّهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وَتَقُولُ: رَفَعْتُ الْأَمْرَ إِلَى الْحَاكِمِ، أَيْ: أَنْهَيْتُهُ إِلَيْهِ لِيَحْكُمَ فِيهِ<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]

(٢) قال الشيخ مجير الدين العليمي الحنبلي: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ﴾ الحفظُ بأعمالِ بني آدم ﴿وَالرُّوحُ﴾ هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى محلِّ قربته وكرامته وهو السماء. (فتح الرحمن في تفسير القرآن، ج ٧/ ص ١٥٦)

(٣) وإليه يشير قول محيي السُّنة الإمام الحسين بن مسعود البغوي: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ يعني جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِلَيْهِ﴾ أَيْ: إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ مِنْ سِنِي الدُّنْيَا لَوْ صَعِدَ غَيْرُ الْمَلِكِ، وَذَلِكَ أَنَّهَا تَصْعَدُ مَتْنِي أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَسْفَلِ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ إِلَى مَتْنِي أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ. (معالم التنزيل، ج ٨/ ص ٢٢٠)

وَعَلَىٰ هَذَا يُحْمَلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ تَعَالَى فِي جِهَةٍ فَوْقَ وَتَصْعَدُ الْمَلَائِكَةُ إِلَيْهِ؛ لِمَا عَرَفْتَ مِنْ وُجُوبِ تَنْزِهِ تَعَالَى عَنِ الْجِهَاتِ وَالْأَمَكِنَةِ.

**قَوْلُهُ: «فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ»<sup>(١)</sup>**

يَعْنِي: يَتَقَبَّلُهَا بِالتَّشْرِيفِ لَهَا وَالتَّكْرِيمِ وَالْإِعْتِنَاءِ وَالتَّعْظِيمِ، فَضْلًا مِنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، بِلَا غَرَضٍ وَلَا اسْتِحْقَاقٍ.

وَلَمَّا كَانَ النَّاسُ يَتَنَاوَلُونَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي يَعْتَنُونَ بِهَا وَيُشْرَفُونَهَا بِالْيَمِينِ، أُطْلِقَ التَّنَاوُلُ بِالْيَمِينِ فِي حَقِّهِ تَعَالَى وَالْمُرَادُ لَازِمُهُ مِنَ التَّشْرِيفِ وَالتَّكْرِيمِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَهُوَ اسْتِعْمَالُ مَجَازِيٍّ مَشْهُورٍ عِنْدَ الْعَرَبِ وَفِي عُرْفِ النَّاسِ، وَلِهَذَا يَسْتَعْمِلُونَهُ فِي الْأُمُورِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ تَنَاوُلُهَا بِالْيَدِ أَصْلًا، فَيَقُولُونَ: «تَلَقَّ مَا يُشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ فَلَانٌ بِيَمِينِكَ»، وَلَيْسَ الْمُرَادُ قَطْعًا إِلَّا الْإِعْتِنَاءُ بِذَلِكَ وَالْاهْتِبَالُ بِهِ.

**قَوْلُهُ: «وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ»<sup>(٢)</sup>**

يَعْنِي وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ: لَا يَصْعَدُ إِلَى مَحَلِّ قَبُولِهِ وَتَكْرِيمِهِ إِلَّا طَيِّبٌ، أَوْ لَا يَرْتَفِعُ إِلَى حُكْمِ قَبُولِهِ وَاعْتِنَائِهِ الْأَرْفَعِ إِلَّا الطَّيِّبُ. وَهَذَا أَقْرَبُ، وَيَدُلُّ عَلَى

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَقْرَأُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] رقم (٧٤٣٠) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيَهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فُلُوهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ».

(٢) التخریج السابق.

الْأَوَّلِ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَرِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ

لَفِي سِجِّينَ﴾ [المطففين: ٧].

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ نَاصِرُهُ﴾ (٢٢) إِلَى رِبَّهَا نَاطِرُهُ ﴿٢٣﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣].

قَوْلُهُ: «سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»<sup>(١)</sup>

التَّشْبِيهُ إِنَّمَا هُوَ فِي عَدَمِ التَّضَرُّرِ بِالْإِزْدِحَامِ وَنَحْوِهِ عِنْدَ رُؤْيِيهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلِهَذَا لَمْ يُشَبَّهْ بِالشَّمْسِ إِلَّا فِي هَذَا الْمَعْنَى، لَا مُطْلَقًا؛ لِحُصُولِ الضَّرَرِ لِلرَّائِي عِنْدَ رُؤْيِيهَا فِي بَصَرِهِ بِتَشَعُّعِ نُورِهَا فِيهِ وَفِي بَدَنِهِ بِتَوْهُّجِ حَرِّهَا عَلَيْهِ.

وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنَ التَّشْبِيهِ أَنَّهُ تَعَالَى جِسْمٌ نُورَانِيٌّ يَرُونَهُ فِي جِهَةِ الْعُلُوِّ كَالْقَمَرِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا. وَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى بَيَانِ وَجْهِ الشَّبَهِ إِثْرَ تَشْبِيهِهِ فَقَالَ: «لَا تُضَامُونَ»<sup>(٢)</sup> فِي رُؤْيِيهِ، فَهُوَ تَشْبِيهُ رُؤْيَةِ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ نَاصِرُهُ﴾ (٢٢) إِلَى رِبَّهَا نَاطِرُهُ ﴿٢٣﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] برقم (٧٤٣٦) عَنْ جَرِيرٍ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرُونَ هَذَا، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيِيهِ».

(٢) قال القاضي عياض: يروى بتشديد الميم وتخفيفها، فمعنى المشدد من الانضمام، أي: لا تراحمون ويضمُّكم غيركم حين النظر إليه، وهذا إذا قدرناه «تضامون» بفتح الميم الأولى، ويكون أيضا «تضامنون» بكسرها، أي: تراحمون غيركم في النظر إليه، كما تقدم في «تضارون». ومن خفف الميم فمن الضَّيْمِ وهو الظلم، أي: لا يظلم بعضكم بعضًا في النظر إليه ويقدر على منعه عنه لشهرته. (مشارق الأنوار، ج ٢/ ص ٥٩) راجع توجيه رواية «لا تضارون» (مشارق الأنوار، ج ٢/ ص ٥٧)

وقال أيضا: وفي بعض روايات البخاري في كتاب الصلاة في باب صلاة الفجر: «لا تضامون» و«لا تضاهون»، ومعناه بالهاء: لا يعارض بعضكم بعضا في الشك في رؤيته ونفيها، كما تقدم

بُرُوءِيَّة<sup>(١)</sup> فِيمَا ذَكَرَ، لَا تَشْبِيهُ مَرْنِي بِمَرْنِي فِي الْكِبَرِ وَالنُّورِ وَالْعُلُوِّ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾ [الشورى: ١١].

قَوْلُهُ: «فَيَأْتِيهِمْ فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَائِنَا حَتَّى يَأْتِيَ رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ»<sup>(٢)</sup> إِلَى آخِرِهِ.

لَا شَكَّ وَلَا خَفَاءَ أَنَّ الصُّورَ الْجِسْمِيَّةَ وَالْجِسْمَانِيَّةَ مُسْتَحِيلَةٌ عَلَى مَوْلَانَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَكَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ يَتَنَقَّلَ فِيهَا مِنْ صُورَةٍ إِلَى صُورَةٍ كَمَا عُهِدَ فِي الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟! كَيْفَ وَمُطْلَقُ التَّغْيِيرِ فِي ذَاتِهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ الْأَزَلِيَّةِ مُسْتَحِيلٌ أَرَلًا وَأَبَدًا؟! فَتَعَيَّنَ حَمْلُ هَذِهِ الصُّورِ الْوَاقِعَةِ فِي هَذَا

في «تضارون» و«تضامون»، أو: لَا تُشَبَّهُونَ رَبَّكُمْ فِي رُؤْيَتِهِ لَغَيْرِهِ، وَأَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ قَبْلَ: «كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» فِي شَبِّهِ وَضُوحِ الرُّؤْيَةِ وَتَحْقِيقِهَا وَرَفْعِ اللَّبْسِ، لَا فِي شَبِّهِ الْمَرْنِيِّ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ. (مشارك الأنوار، ج 2/ ص 62)

(١) قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُجَاهِدٍ الْبَصْرِيُّ بَعْدَ أَنْ اسْتَدَلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَلَى إِبْطَالِ الرُّؤْيَةِ: فَبَيَّنَ أَنَّ رُؤْيَتَهُ تَعَالَى بِأَعْيُنِ الْوُجُوهِ، وَلَمْ يُرِدِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِثْلُ الْقَمَرِ؛ مِنْ قَبْلِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَّهَ الرُّؤْيَةَ بِالرُّؤْيَةِ، وَلَمْ يُشَبِّهِ اللَّهَ تَعَالَى بِالْقَمَرِ. (رسالة إلى أهل الثغر، ص 239 وهي منسوبة خطأً للشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ)

الْبَيْضَاوِي: أَي: تَكُونُ رُؤْيَتُهُ تَعَالَى رُؤْيَةً جَلِيَّةً بَيِّنَةً لَا تَقْبَلُ مَرَاءً وَلَا مَرِيَّةً فَيُخَالَفُ فِيهَا بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَيَكْذِبُهُ، كَمَا لَا يُشَكُّ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَلَا يَنَازَعُ فِيهَا، فَالتَّشْبِيهُ إِنَّمَا وَقَعَ فِي الرُّؤْيَةِ بِاعْتِبَارِ جَلَائِهَا وَظُهُورِهَا بِحَيْثُ لَا يُرْتَابُ فِيهَا، لَا فِي سَائِرِ كَيْفِيَّاتِهَا وَلَا فِي الْمَرْنِيِّ؛ فَإِنَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى مَنْزَرُهُ عَنِ الْجِسْمِيَّةِ وَعَمَّا يُؤْدِي إِلَيْهَا. (تحفة الأبرار، ج 3/ ص

(403)

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَحْمَتِهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾

[القيامة: ٢٢ - ٢٣] رَقْم (7437)

الْحَدِيثِ وَالتَّنْقِلِ فِيهَا أَنَّهُ كَانَ فِي أَعْيُنِ النَّاطِرِينَ، وَأَنَّهُ مِنْ مُعَالَطَةِ أَبْصَارِهِمْ،  
وَلَا صُورَةَ جِسْمِيَّةٍ<sup>(1)</sup> فِي ذَاتِهِ تَعَالَى وَلَا تَنْقَلُ فِيهَا أَصْلًا، بَلْ لَمْ يَزَلْ تَعَالَى عَلَى  
كَمَالِهِ الْأَزَلِيِّ الَّذِي لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا يَزَالُ.

فَلَمَّا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُمْ: «أَنَا رَبُّكُمْ» عِنْدَ تِلْكَ الصُّورَةِ الْجِسْمَانِيَّةِ الَّتِي  
ظَهَرَتْ لِأَعْيُنِهِمْ وَرَأَوْهَا لِمَا سَبَقَ لَهُمْ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِهِ جَلٍّ وَعَلَا فِي الدُّنْيَا أَنَّهَا  
مُسْتَحِيلَةٌ عَلَيْهِ تَوَهَّمُوا لِأَجْلِ غَلَطِ أَبْصَارِهِمْ وَأَسْمَاعِهِمْ أَنَّ تِلْكَ الصُّورَةَ  
الْحَادِثَةَ هِيَ الْقَائِلَةُ لَهُمْ: «أَنَا رَبُّكُمْ»، فَلَمْ يُقَرُّوا لَهَا بِذَلِكَ، وَتَبَرَّؤُوا مِنْهَا،  
وَاسْتَعَاذُوا مِنْهَا، عَلَى مَا ثَبَتَ فِي بَعْضِ رَوَايَاتِ الْحَدِيثِ.

وَلِهَذَا قَالُوا: «هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَ رَبُّنَا»، أَيُّ: حَتَّى يَتَجَلَّى لَنَا رَبُّنَا بِأَنْ  
يَخْلُقَ لَنَا رُؤْيَا ذَاتِهِ الَّتِي عَرَفْنَا وَجُوبَ تَنْزُّهٍهَا عَنْ سِمَاتِ الْحَوَادِثِ. فَهُوَ إِتْيَانُ  
تَجَلٍّ وَكَشْفٍ وَظُهُورٍ، لَا إِتْيَانُ حَرَكَةٍ وَحُلُولٍ بِذَلِكَ الْمَكَانِ مَحَلٍّ كُلِّ حَادِثٍ  
مَقْهُورٍ.

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِمْ: «فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ»، أَيُّ: إِذَا تَجَلَّى وَظَهَرَ بِإِزَالَةِ  
الْحُجُبِ عَنْ أَعْيُنِنَا وَخَلَقَ الرُّؤْيَا فِيهَا لِذَاتِهِ الْأَزَلِيَّةِ عَرَفْنَاهُ بِمَا تَقَرَّرَ عِنْدَنَا فِي  
الدُّنْيَا مِنْ نَزَاهَتِهِ وَكَمَالِهِ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا مِثْلَ<sup>(2)</sup> وَلَا شَبِيهَ.

(1) فِي (أ): جِسْمَانِيَّة

(2) فِي (أ): وَلَا مِثْلَ

وَنَحْنُ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ فِي إِطْلَاقِ الْمَجِيءِ بِمَعْنَى التَّجَلِّي وَالظُّهُورِ - لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَةِ وَالْإِنْتِقَالِ - قَوْلُهُ: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١] أَي: تَجَلَّى وَظَهَرَ، لَا أَنَّهُ تَحَرَّكَ وَانْتَقَلَ لِاسْتِحَالَةِ الْحَرَكَةِ عَلَى الْمَعَانِي.

وَهَذِهِ الصُّورَةُ الْحَادِثَةُ الَّتِي ظَهَرَتْ لِأَعْيُنِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَوْقِفِ وَاسْمِعُوا عِنْدَهَا الْكَلَامَ بِ«أَنَا رَبُّكُمْ» فِتْنَةً عَظِيمَةً فِي التَّوْحِيدِ، وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ يُفْتَنُ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي عَقَائِدِهِمْ، وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُمُ النِّجَاةُ مِنْهَا إِلَّا بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِمَا وَهَبَ لَهُمْ مِنَ الْمَعْرِفَةِ فِي دَارِ الدُّنْيَا.

وَانْظُرْ عَظِيمَ لُطْفِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْفَرِدْ بِمُكَابَدَتِهَا <sup>(١)</sup> عَوَامُّ الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ كَفَاهُمْ مُؤَنَّتَهَا وَالْجَوَابَ فِيهَا مَنْ مَعَهُمْ مِنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَرُسُلِهِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ بَعْدَ هَذَا، فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ كَفِتْنَةِ الْقَبْرِ الَّتِي يُكَابِدُهَا كُلُّ مُؤْمِنٍ وَحْدَهُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَالْطَّافُ الْمَوْلَى الْكَرِيمِ الْجَلِيلِ وَالْخَفِيَّةِ لَا تَفَارِقُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ «فِي» الدَّاخِلَةُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ الْحَادِثَةِ بِمَعْنَى «مَعَ»، وَعَلَيْهِ يَجِيءُ مَا سَبَقَ أَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ لَا وُجُودَ لَهَا فِي الْخَارِجِ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ مَغَالِطِ أَبْصَارِهِمْ.

(١) فِي (أ): بِمُكَابِدَتِهَا

وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى «الْبَاءِ»، وَيَكُونُ إِنْيَانُهُ تَعَالَى بِهَا هُوَ خَلَقَهُ لَهَا فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ فِتْنَةً لَهُمْ، أَوْ كَانَتْ مَخْلُوقَةً قَبْلَ ذَلِكَ وَسَاقَهَا إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ، وَقَالَ عِنْدَ رُؤْيَيْهِمْ لَهَا وَإِنْيَانُهَا إِلَيْهِمْ: «أَنَا رَبُّكُمْ» عَلَى سَبِيلِ الْفِتْنَةِ، أَوْ تِلْكَ الصُّورَةُ بِنَفْسِهَا هِيَ الْقَائِلَةُ: «أَنَا رَبُّكُمْ»، هَذَا كُلُّهُ مُحْتَمِلٌ جَائِزٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْمُرَادِ.

**قَوْلُهُ: «فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَهَا»<sup>(1)</sup>**

يَعْنِي: يَتَجَلَّى لَهُمْ وَتَخْلُقُ الرُّؤْيَةَ لِذَاتِهِ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَهَا مِنْ اخْتِصَاصِهِ تَعَالَى بِالْكَمَالِ الْعَدِيمِ الْمِثَالِ وَالنَّظِيرِ، الْمُنَزَّهِ عَنْ سِمَاتِ جَمِيعِ الْحَوَادِثِ.

فَالصُّورَةُ هُنَا بِمَعْنَى الْحَقِيقَةِ وَالصِّفَةِ، لَا بِمَعْنَى الشَّكْلِ الْجِسْمَانِيِّ، وَلِمَجِيءِ الصِّفَةِ الْأَزَلِيَّةِ فِي صُحْبَتِهَا عُبِّرَ عَنْهَا بِالصُّورَةِ عَلَى طَرِيقِ الْمُشَاكَلَةِ، وَمِنْ مَجِيءِ الصُّورَةِ بِمَعْنَى الْحَقِيقَةِ - لَا بِمَعْنَى الشَّكْلِ الْجِسْمَانِيِّ - قَوْلُهُمْ: «صُورَةُ الْمَسْأَلَةِ».

**قَوْلُهُ: «فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتَّبِعُونَهُ»<sup>(2)</sup>.**

يَعْنِي: يَتَّبِعُونَ أَمْرَهُ وَإِذْنَهُ لَهُمْ بِالْمَجِيءِ إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ وَمَحَلِّ اجْتِمَاعِ الشَّمْلِ، بِدَلِيلِ خِطَابِهِ وَرُؤْيَيْهِ<sup>(3)</sup>، وَهَذَا كَمَا تَقُولُ: «فُلَانٌ مُتَّبِعٌ لِلرَّسُولِ

(1) التخریج السابق.

(2) التخریج السابق.

(3) ورؤيته: ليست في (ب)



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَعْنَاهُ: مُتَّبِعٌ لِأَمْرِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وَقَالَ: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَأِنَّمَا حُذِفَ الْأَمْرُ وَنُسِبَ الْإِتِّبَاعُ فِي الْحَدِيثِ لِذَاتِهِ تَعَالَى لِلْمُشَاكَلَةِ لِأَنَّهُ جَاءَ هَذَا فِي صُحْبَةِ ذِكْرِ اتِّبَاعِ الْكُفَّارِ الْمَعْبُودَاتِ الْحَادِثَةِ الَّتِي ذَهَبَتْ وَرَاءَهَا إِلَى النَّارِ.

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَيَّنَ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ الَّتِي خَرَجَتْ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ وَالِاسْتِعَارَةِ التَّمْثِيلِيَّةِ الْمُكْنِيَّةِ عَظِيمِ إِكْرَامِ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنِ اجْتَمَعَ فِيهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْأَقْطَابِ وَالْأَوْتَادِ وَالْأَبْدَالِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَأَنَّهُ تَعَالَى بِفَضْلِهِ اعْتَنَى بِهِمْ عِنْدَ وَفُودِهِمْ أَرْضَ الْمَوْقِفِ قَاصِدِينَ جَنَّتَهُ وَدَارَ كَرَامَتِهِ، اعْتِنَاءً مَلِكٍ عَظِيمٍ قَدِمَ عَلَيْهِ خَوَاصُّ عِيْدِهِ الْمُحِبِّينَ عِنْدَهُ مَعَ أَتْبَاعِهِمْ، فَأَظْهَرَ ذَلِكَ الْمَلِكُ الْإِعْتِنَاءَ بِهِمْ وَالْإِعْتِنَاءَ بِأَتْبَاعِهِمْ، وَالتَّنْوِيَةَ بِأَقْدَارِهِمْ، وَإِدْخَالَ عَظِيمِ السُّرُورِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ مَدِينَتِهِ وَبَرَزَ عَنْ قَصْرِهِ وَمَحَلِّ اسْتِقْرَارِهِ الَّذِي فِيهِ يُقْصَدُ لِرُؤْيَيْهِ، وَتَلَقَّاهُمْ بَعِيدًا عَنِ الْمَدِينَةِ بِمَسَافَةٍ طَوِيلَةٍ حَتَّى بَايَعُوهُ هُنَاكَ، وَشَفَوْا صُدُورَهُمْ مِنْ لَذِيذِ رُؤْيَيْهِ، وَطَابَتْ قُلُوبُهُمْ بِسَمَاعِ لَطِيفِ خُطَابِهِ.

فَلَمَّا قَصَّوْا وَطَرَهُمْ مِنْ هَذِهِ اللَّذَائِدِ، وَسَكَنُوا بَعْضُ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنَ الشَّوْقِ الزَّائِدِ، كَرَّمَ الْمَلِكُ رَاجِعًا إِلَى دَارِهِ وَمَوْضِعِ سَرِيرِ مُلْكِهِ الَّتِي فِيهَا يُقْصَدُ لِلتَّمَتُّعِ بِمُشَاهَدَتِهِ وَالتَّوَسُّعِ فِي عَطَائِهِ وَمِنْحِهِ وَذَخَائِرِ ضِيَافَتِهِ، وَأَذِنَ لِعَبِيدِهِ

الوَافِدِينَ أَنْ يَتَّبِعُوهُ إِلَى دَارِهِ الَّتِي فِيهَا يَسْتَقَرُّونَ، وَبِلَطَائِفِ<sup>(1)</sup> نِعَمِ الْمَلِكِ فِيهَا يَتَنَعَّمُونَ وَيَمْرَحُونَ وَيَتَسَعَّونَ، وَبِمُجَاوَرَةِ الْمَلِكِ وَزِيَارَتِهِ وَرُؤْيَيْهِ فِي أَعْيَادِهَا يَطِيبُونَ وَيَعْتَبِطُونَ.

فَرُؤْيَاهُ الْمُؤْمِنِينَ لِمَوْلَانَا جَلَّ وَعَلَا فِي أَرْضِ الْمَوْقِفِ وَسَمَاعِ خِطَابِهِ الْأَرْفَعِ وَسُجُودِهِمْ لَهُ هُنَاكَ نَظِيرُ خُرُوجِ الْمَلِكِ لِعَبِيدِهِ وَرُؤْيَيْهِمْ لَهُ وَمُبَايَعَتِهِمْ لَهُ بَعِيدًا مِنَ الْبَلَدِ، وَالْجَنَّةُ نَظِيرُ مَدِينَةِ الْمَلِكِ، وَفَحْصَتُهُ الْعَرْشِ الَّتِي هِيَ مَحَلُّ رُؤْيَيْهِ تَعَالَى نَظِيرُ قَصْرِ الْمَلِكِ الَّذِي فِيهِ مُسْتَقَرُّهُ وَفِيهِ سَرِيرُ مُلْكِهِ الَّذِي يَجْلِسُ عَلَيْهِ لِلنَّاسِ.

وَحَاجَّتُهُ تَعَالَى لَهُمْ بَعْدَ أَنْ رَأَوْهُ فِي الْمَوْقِفِ حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ نَظِيرُ رُجُوعِ الْمَلِكِ إِلَى دَارِهِ، وَكَوْنُهُمْ أُمُرًا بِالْمَشْيِ وَالْاجْتِنَازِ عَلَى قَنْطَرَةِ الصَّرَاطِ إِلَى الْجَنَّةِ فَفَعَلُوا نَظِيرُ اتِّبَاعِ الْعَبِيدِ الْوَافِدِينَ لِلْمَلِكِ إِلَى مَدِينَتِهِ وَدَارِهِ. فَأَثَبَتْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَعْضَ لَوَازِمِ الْمُشَبَّهِ بِهِ مِنَ الْإِتْيَانِ وَالْمَجِيءِ وَالِاتِّبَاعِ عَلَى طَرِيقِ التَّخِيلِ فِي حَقِّهِ تَعَالَى لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّشْبِيهِ الْمُضْمَرِّ فِي النَّفْسِ الْمُسَمَّيِ بِالِاسْتِعَارَةِ بِالْكِنَايَةِ، وَالْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ إِظْهَارُ تَكْرِيمِ اللَّهِ تَعَالَى لِعَبِيدِهِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ غِنَاهُ تَعَالَى عَنْهُمْ وَعَنْ أَعْمَالِهِمْ.

وَبِالتَّأَمُّلِ فِي ذَلِكَ يَمْتَلِئُ الْقَلْبُ بِمَحَبَّةِ هَذَا الْمَوْلَى الْعَظِيمِ، وَيَنْسَى كُلَّ مَا سِوَاهُ مِنْ بَالِهِ، وَيَمْتَلَأُ أَيْضًا بِمَحَبَّةِ هَذَا النَّبِيِّ الشَّرِيفِ الَّذِي لَمْ يَنْكَشِفْ هَذَا

(1) فِي (أ): وَبِأَطَائِبِ

الْأَمْرَ الْعَجِيبُ مِنْ غُيُوبِ الْآخِرَةِ إِلَّا عَلَى يَدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ.

**قَوْلُهُ: «فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ»<sup>(1)</sup>**

«السَّاقُ» بِمَعْنَى قَصَبَةِ الرَّجْلِ مُسْتَحِيلٌ عَلَى الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِنَتْنِزِهِ عَنْ الْجِسْمِيَّةِ وَأَعْضَائِهَا، فَتَعَيَّنَ التَّأْوِيلُ، وَفِيهِ أَقْوَالٌ كَثِيرَةٌ، وَأَقْرَبُهَا أَنَّ السَّاقَ بِمَعْنَى النَّفْسِ وَالذَّاتِ، وَقَدْ ثَبَتَ اسْتِعْمَالُ السَّاقِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ الْعَرَبِ. وَمَعْنَى كَشْفِهِ تَعَالَى عَنْ ذَاتِهِ إِزَالَةَ الْحُجُبِ عَنْ أَبْصَارِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَوْقِفِ، وَخَلَقَ الرُّؤْيَا فِيهَا لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ فَازَالَهُ عَنْهُ كَمَا يَكُونُ الْمُلُوكُ وَرَاءَ السُّتُورِ وَالْجُدْرَانِ وَنَحْوِهَا، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوءًا كَبِيرًا، فَلَا حِجَابَ إِلَّا عَلَى الْخَلْقِ الْمَقْهُورِينَ، وَلَا حِجَابَ عَلَى الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

**قَوْلُهُ: «فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ»<sup>(2)</sup>**

لَيْسَ مَعْنَاهُ الْقَبْضُ بِالْكَفِّ أَوْ بِالْجَارِحَةِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنِ الْجِسْمِيَّةِ وَسِمَاتِ الْحَوَادِثِ<sup>(3)</sup>، وَإِنَّمَا هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ سُهُولَةٍ إِخْرَاجِهِمْ - مَعَ كَثْرَتِهِمْ - مِنَ النَّارِ، وَأَنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَظِيمِ قُدْرَتِهِ كَقَبْضِ شَيْءٍ حَقِيرٍ قَلِيلٍ مِنْ مَوْضِعٍ، وَرَمِي بِهِ فِي

(1) التخريج السابق.

(2) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجُودٌ يُؤَيِّلُ نَاصِرَةً﴾ (٢٢) إِلَى رَحِمَا

نَاطِرَةً ﴿[القيامة: ٢٢ - ٢٣] رَقْم (7440)

(3) فِي (أ): الْجِسْمِيَّةُ وَصِفَاتُ الْجَوَارِحِ.

مَوْضِعٍ آخَرَ، فَسَمَّيْ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ تَعْلُقُ الْقُدْرَةَ الْأَزَلِيَّةَ بِإِخْرَاجِهِمْ لِلتَّعْلُقِ  
التَّجِيزِيِّ قَبْضًا لِلتَّنْبِيهِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَوْلُهُ: «وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ كَذِبَهُنَّ»<sup>(1)</sup>

يَعْنِي: عَرَّضَ بِهِنَّ وَوَرَّى لِلضَّرُورَةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى ذَلِكَ، وَلَيْسَتْ بِكَذِبٍ  
بِحَسَبِ مَقْصِدِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَسَمَّاها كَذِبًا  
بِاعْتِبَارِ فَهْمِ الْمُخَاطَبِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ تَنْزِيهِ الْأَنْبِيَاءِ عَنِ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، وَأَنَّ مَا يُسَمُّونَهُ مِنْ ذَلِكَ  
خَطِيئَةً إِنَّمَا هُوَ عَلَى طَرِيقِ التَّوَاضِعِ وَالْهَيْبَةِ وَالْإِشْفَاقِ.

قَوْلُهُ: «اتَّبُوا مُحَمَّدًا عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»<sup>(2)</sup>  
لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَهُ ذَنْبٌ مُتَقَدِّمٌ وَذَنْبٌ مُتَأَخِّرٌ غَفَرَهُمَا اللَّهُ  
تَعَالَى؛ لِمَا عَرَفَتْ مِنْ وُجُوبِ عِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ عُمُومًا وَعِصْمَةِ أَشْرَفِ الْخَلْقِ  
خُصُوصًا.

وَأَقْرَبُ مَا يُتَأَوَّلُ بِهِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَغْفِرَةِ هُنَا وَفِي سُورَةِ الْفَتْحِ: الْمَغْفِرَةُ  
اللُّغَوِيَّةُ وَهِيَ السِّرُّ، وَتَكُونُ الْعِبَارَةُ مِنْ بَابِ الْأَخْذِ بِالْأَطْرَافِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى  
الِإِحَاطَةِ، كَقَوْلِكَ: «قَرَأْتُ الْقُرْآنَ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ»، أَيُّ: أَحَطْتُ بِطَرَفَيْهِ اللَّذَيْنِ  
هُمَا مَحَلُّ النَّسْيَانِ وَالْإِهْمَالِ، فَكَيْفَ بِالْوَسْطِ؟! كَذَلِكَ تَقُولُ: «جُلْتُ الْبَلَدَ  
أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ» لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّكَ لَمْ تَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا.

(1) التخریج السابق.

(2) التخریج السابق.

فَالْمَعْنَى أَنَّهُ أَحَاطَ بِالدَّنْبِ السِّرِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى سَاحَةِ نَبِينَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَتَرَ عَنْهُ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، فَلَا يَقْرُبُ سَاحَتَهُ الْمُطَهَّرَةَ مِنْهُ شَيْءٌ أَصْلًا، فَتَكُونُ «مِنْ» عَلَى هَذَا لِلتَّبْعِيضِ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ «مِنْ» فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ ذُنُوبِكَ﴾ [الفتح: ٢] بِمَعْنَى «عَنْ»، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ سَتَرَ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَوَابِقَ الذَّنْبِ مِنَ الْهَوَاجِسِ وَالْخَوَاطِرِ وَحَدِيثِ النَّفْسِ وَالْهَمِّ وَالْعَزَمِ، وَلَوْاحِقَهُ مِنَ الرَّانِ وَالْقَسْوَةِ وَالْعَذَابِ وَالْمَقْتِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَثَارِ الذُّنُوبِ، وَإِذَا أُحِيطَ بِالدَّنْبِ سَوَابِقِهِ وَلَوْاحِقِهِ فَأَنَّى أَنْ يَحُلَّ بِسَاحَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟!

وَإِضَافَةُ الذَّنْبِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْآيَةِ بِمَعْنَى الْقَبُولِ، لَا بِمَعْنَى الْحُصُولِ، وَعَدَلَ إِلَى التَّعْرِيفِ بِ«مَا» عَنِ التَّعْرِيفِ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى إِحْضَارِ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظِيمِ فَضْلِهِ عَلَيْهِ بِأَنْ بَعَدَ عَنْهُ بِمَحْضِ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ مَا هُوَ قَابِلٌ لَهُ عَقْلًا بِالنَّظَرِ إِلَى مُجَرَّدِ إِنْسَانِيَّتِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

**قَوْلُهُ: «فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ»<sup>(١)</sup>**

يَعْنِي: أَسْتَأْذِنُ عَلَى مَحَلِّ رُؤْيَةِ رَبِّي فِي دَارِهِ الَّتِي أَعَدَّهَا سُبْحَانَهُ لِرُؤْيَيْتِهِ، مَعَ تَنْزُّهِهِ عَنِ الْحُلُولِ فِيهَا بِذَاتِهِ. فَإِضَافَتُهَا إِلَيْهِ إِضَافَةُ مَلِكٍ وَتَشْرِيفٍ، وَقَدْ سَبَقَ تَأْوِيلُ ذَلِكَ.

(١) التخریج السابق.

قَوْلُهُ: «مَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبْرِيَاءِ

عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّتِ عَدْنٍ»<sup>(١)</sup>

الْمُرَادُ بِالْوَجْهِ الذَّاتُ، لَا الْجَارِحَةُ، وَالْمُرَادُ بِالرِّذَاءِ الصِّفَةُ.

وَقَوْلُهُ: «فِي جَنَّتِ عَدْنٍ» مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: «أَنْ يَنْظُرُوا»، فَهُوَ ظَرْفٌ لِنَظَرِهِمْ

إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ بِظَرْفٍ لِذَاتِهِ الْعَلِيَّةِ.

وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا فِي جَنَّةِ عَدْنٍ إِلَى رَبِّهِمْ

إِلَّا صِفَةُ الْكِبْرِيَاءِ، وَهِيَ الْعِظَمَةُ الَّتِي اتَّصَفَتْ بِهَا ذَاتُهُ الْعَلِيَّةُ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ إِذَا

عَامَلَهُمْ تَعَالَى بِمُقْتَضَاهَا وَأَشْهَدَهُمْ إِيَّاهَا لَمْ يَسْتَطِيعُوا رُؤْيَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ اسْتَحْضَرَ فِي الدُّنْيَا عِظَمَةَ مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ فِي خَيَالِهِ فِي

غَايَةٍ، وَأَحْضَرَ حَقَّارَةَ نَفْسِهِ فِي غَايَةٍ، لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَجْتَمِعَ مَعَهُ وَلَا أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ

هَيْبَةً لَهُ، وَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ إِحْدَادَ الْبَصَرِ فِي ذَاتِهِ

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَعْظِيمًا وَهَيْبَةً لَهُ، وَأَيْنَ هَذَا مِنْ عِظَمَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَلِكِ

الْمُلُوكِ الرَّبِّ الْقَادِرِ الْمُقْتَدِرِ الْقَهَّارِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ؟!

فَسَبَّهَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عِظَمَةَ مَوْلَانَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي مَنَعِهَا مِنْ رُؤْيَيْهِ تَعَالَى

عِنْدَ مُلَاحَظَةِ الْمُؤْمِنِينَ لَهَا وَمُعَامَلَتِهِمْ بِمُقْتَضَاهَا بِالرِّذَاءِ الْمَحْسُوسِ الْمَانِعِ

مِنْ رُؤْيَيْهِ مَنْ تَرَدَّى بِهِ، فَإِذَا أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ أَحْضَرَ بِقُلُوبِهِمْ

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يُؤْمَرْ فَاصْبِرْ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا

نَاطِرَةً ﴿[القيامة: ٢٢ - ٢٣] رَقْم (7444)

صِفَةُ جَمَالِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَاعْتِنَائِهِ بِهِمْ وَعَفْوِهِ عَنْهُمْ وَسِتْرِهِ الْجَمِيلِ عَلَيْهِمْ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ أَوْصَافِ فَضْلِهِ عَلَيْهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الَّتِي هِيَ مَقَامُ الْأُنْسِ وَالْمَحَبَّةِ وَالتَّلَذُّدِ بِالرُّؤْيَةِ وَتَطَايُرِ الْقَلْبِ بِالْإِشْتِيَاقِ وَطَلَبِ الْاجْتِمَاعِ وَالْوُصْلَةِ. فَإِذَا مَلَأَ سُبْحَانَهُ قُلُوبُهُمْ بِمُشَاهَدَةِ هَذَا الْجَمَالِ الْعَدِيمِ الْمِثَالِ، وَغَيَّبَ قُلُوبَهُمْ عَنْ مُشَاهَدَةِ الْعِظَمَةِ وَالْقَهْرِ وَالْجَبْرُوتِ، فَحِينَئِذٍ يَتِمَكَّنُونَ مِنْ رُؤْيِيهِ، وَالتَّلَذُّدِ الَّذِي لَا يُكَيِّفُ بِشَرِيفِ مُشَاهَدَتِهِ، فَكَأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: لَيْسَ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَرُؤْيَةِ مَوْلَاهُمْ إِلَّا صِفَةُ الْكِبَرِيَاءِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا، إِذَا غِيَّبَهَا عَنْهُمْ وَرَفَعَهَا فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُمْ وَتَجَلَّى لَهُمْ بِصِفَةِ الْجَمَالِ تَطَايُرًا شَوْقًا إِلَى رُؤْيِيهِ وَالتَّلَذُّدِ بِشَرِيفِ مُحَاطَتِهِ وَمُكَالَمَتِهِ، فَسُبْحَانَهُ مَا أَوْسَعَ كَرَمُهُ وَنَوَالُهُ وَأَعَزَّ جُودُهُ وَأَفْضَلُهُ.

قَوْلُهُ: «لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ»<sup>(1)</sup>

مَعْنَاهُ: لَا يَرْحَمُهُمْ، وَإِلَّا فَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَغِيْبَ عَنْ نَظَرِهِ تَعَالَى وَبَصَرِهِ مَوْجُودٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ، فَأُطْلِقَ نَفْيَ النَّظَرِ إِلَيْهِمْ وَالْمُرَادُ لَا زِمُهُ مِنَ الْغَضَبِ عَلَيْهِمْ وَالْإِنْتِقَامِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْ رَحْمَتِهِمْ.

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَئِذٍ نَاضِرٌ ﴿٢٣﴾﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرٌ ﴿[الْقِيَامَةِ: ٢٢ - ٢٣]﴾ رَقْم (7446) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيَ وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ نَعْمَلْ يَدَاكَ».

قَوْلُهُ: «فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ»<sup>(1)</sup>  
 قَدْ تَقَرَّرَ بِالْبَرَاهِينِ الْقَطْعِيَّةِ اسْتِحَالَةُ الْحَرْفِ وَالصَّوْتِ عَلَى كَلَامِ مَوْلَانَا  
 تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَالْمَعْنَى إِذَا فِي الْحَدِيثِ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُنَادِي أَهْلَ الْمَحْشَرِ  
 بِصَوْتٍ مَلَكٍ يَبْعَثُهُ إِلَيْهِمْ، يَسْمَعُ صَوْتَهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ، يَقُولُ  
 عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: «أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ»<sup>(2)</sup>.

وَنَظِيرُهُ مَا يَأْتِي بَعْدَ هَذَا، يَقُولُ اللَّهُ: «يَا آدَمُ»، فَيَقُولُ: «لَيْتَكَ وَسَعْدَيْكَ،  
 فَيُنَادِي بِصَوْتٍ»<sup>(3)</sup>، مَعْنَاهُ: بِوَاسِطَةِ مَلَكٍ يَبْعَثُهُ اللَّهُ تَعَالَى.

بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ تَعَالَى مَعَ جِبْرِيلَ  
 قَوْلُهُ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا»<sup>(4)</sup>

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ. حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣] قال: البخاري: ويُذَكَّرُ عن جابر بن عبد الله، عن عبد الله بن أنيس قال: سمعتُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ».

(2) التخریج السابق.

(3) التخریج السابق، رقم (7483)

(4) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ تَعَالَى مَعَ جِبْرِيلَ وَنداء الله الملائكة. رقم (7485) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ ينادي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ».



مَعْنَاهُ: قَدْ نَزَلَتْ فِي مُعَامَلَتِهِ لَهُ بِالْفَضْلِ الْجَمِيلِ مَنْزِلَةٌ الْمَحْبُوبِ، وَلَيْسَ  
مَعْنَاهُ أَنَّهُ مَالَ إِلَيْهِ وَأَنْسَ بِهِ وَالتَّدْبِيرُ بِهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ. وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّ  
التَّغْيِيرَ مُسْتَحِيلٌ عَلَى ذَاتِهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ.

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]

قَوْلُهُ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا<sup>(١)</sup> إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ  
الْآخِرِ»<sup>(٢)</sup>

لَا خَفَاءَ أَنَّ الْجِهَةَ<sup>(١)</sup> وَالْمَكَانَ وَالْحَرَكَةَ وَالْإِنْتِقَالَ وَالْهُبُوطَ وَالصُّعُودَ هِيَ  
مِنْ صِفَاتِ الْحَوَادِثِ النَّاقِصَةِ، وَجَمِيعُ ذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ عَلَى الْمَوْلَى

(١) قال القاضي عياض: روى ابن حبيب عن مالك: يَنْزِلُ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ، وَأَمَّا هُوَ تَعَالَى فَدَائِمٌ لَا  
يَزُولُ. وَقَالَ غَيْرُهُ. وَاعْتَرَضَ بَعْضُهُمْ عَلَى هَذَا بِأَنَّ أَمْرَهُ يَنْزِلُ فِي كُلِّ حِينٍ، فَلَا يَخْتَصُّ بِوَقْتٍ  
دُونَ وَقْتٍ. وَهَذَا لَا يِلْزَمُ لِأَنَّ الَّذِي يَخْتَصُّ نَزُولُ أَمْرِهِ بِهِ هَذَا الْوَقْتُ هُوَ مَا اقْتَرَنَ بِهَذَا الْقَوْلِ:  
«هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟» الْحَدِيثُ، وَأَمْرُهُ يَنْزِلُ أَبَدًا مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْقَرِينَةِ. وَقِيلَ: هُوَ  
مَجَازٌ، أَيْ: يَبْسُطُ رَحْمَتَهُ، وَقِيلَ: هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ بَسْطِ رَحْمَتِهِ وَقَرَبِ إِجَابَتِهِ. (مشارك الأنوار،  
ج ٢/ص ٩)

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾  
[الفتح: ١٥] رقم (٧٤٩٤) عن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا  
تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي  
فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟».

قال القاضي البيضاوي: لَمَّا ثَبَتَ بِالْقَوَاعِظِ الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّفْثِيَّةِ أَنَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مَنْزَعٌ عَنْ  
الْجِسْمِيَّةِ وَالتَّحْيِيزِ وَالْحُلُولِ، امْتَنَعَ عَلَيْهِ النُّزُولُ عَلَى مَعْنَى الْإِنْتِقَالِ مِنْ مَوْضِعٍ أَعْلَى إِلَى مَا  
هُوَ أَخْفَضُ مِنْهُ، بَلِ الْمَعْنَى بِهِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ أَهْلُ الْحَقِّ: دُئُو رَحْمَتِهِ وَمَزِيدُ لَطْفِهِ عَلَى الْعِبَادِ  
وَإِجَابَةُ دَعْوَتِهِمْ وَقَبُولُ مَعذَرَتِهِمْ. (تحفة الأبرار، ج ١/ص ٣٦٤)

تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَتَعَيَّنَ أَنَّ الْمَعْنَى: يَنْزِلُ مَلَكٌ رَبَّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ حَاكِيًا عَنِ اللَّهِ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ، إِلَى آخِرِهِ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي بَعْضِ رَوَايَاتِ هَذَا الْحَدِيثِ: «يُنْزِلُ رَبَّنَا» بِضَمِّ الْيَاءِ رُبَاعِيًّا مِنْ «أَنْزَلَ»، لَا ثَلَاثِيًّا مِنْ «نَزَلَ»، وَهُوَ يَشْهَدُ لَصِحَّةِ هَذَا التَّأْوِيلِ<sup>(2)</sup>، وَالتَّنَزُّلُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ تَنْزُلٌ حِسِّيٌّ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا التَّنَزُّلُ تَنْزُلًا مَعْنَوِيًّا، وَيَكُونُ الْمَعْنَى: يَتَنَزَّلُ مَوْلَانَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ مُعَامَلَةٍ عَيْدِهِ - أَهْلِ الْأَرْضِ - بِمُقْتَضَى الْغَضَبِ لِكثَرَةِ مَا وَقَعَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ فِي النَّهَارِ وَصَدْرِ اللَّيْلِ إِلَى مُعَامَلَتِهِمْ بِمُقْتَضَى الرَّحْمَةِ فِي هَذَا الْوَقْتِ الَّذِي يَغْلِبُ فِيهِ قِلَّةُ الْمَعَاصِي لِنُومِ أَكْثَرِ الْعَصَاةِ فِيهِ<sup>(3)</sup>.

وَيُظْهِرُ تَعَالَى هَذَا التَّنَزُّلَ الْمَعْنَوِيَّ وَجَمِيلَ هَذِهِ الْمُعَامَلَةِ مِنْ سَمَاءِ إِلَى سَمَاءٍ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ ظُهُورُهُ إِلَى مَلَائِكَةِ سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْمَعُونَ مِنْهُ تَعَالَى عِنْدَ

---

(1) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِي: قَوْلُهُ: «يُنْزِلُ رَبَّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» اسْتَدْلَالٌ بِهِ مِنْ أَثَبَّتِ الْجِهَةَ وَقَالَ: هِيَ جِهَةُ الْعُلُوِّ. وَأَنْكَرَ ذَلِكَ الْجُمْهُورُ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ بِذَلِكَ يُفْضِي إِلَى التَّحْيِيزِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ (فتح الباري، ج 3/ ص 31)

(2) وَيَشْهَدُ لَهُ أَيْضًا مَا أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ يَقُولَانِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُمْهِلُ حَتَّى يَمْضِيَ شَطْرُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ يَأْمُرُ مُنَادِيًا يَنَادِي يَقُولُ: هَلْ مِنْ دَاعٍ يَسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يَغْفِرُ لَهُ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى». (عمل اليوم والليلة، ص 340 طبعة مؤسسة الرسالة)

(3) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِي: الْحَاصِلُ أَنَّ تَأْوِيلَهُ بَوَجْهَيْنِ: إِمَّا بِأَنَّ الْمَعْنَى: يَنْزِلُ أَمْرُهُ أَوْ الْمَلَكُ بِأَمْرِهِ، وَإِمَّا بِأَنَّهُ اسْتِعَارَةٌ بِمَعْنَى التَّلَطُّفِ بِالْإِجَابَةِ لَهُمْ وَنَحْوِهِ. (فتح الباري، ج 3/ ص 31)

هَذَا التَّنَزُّلُ فِي هَذَا الْوَقْتِ مَا ذُكِرَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِبْ لَهُ» إِلَى آخِرِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمُرَادِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

**قَوْلُهُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ»<sup>(1)</sup>**

الْحُبُّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَعْنَى الْمِيلِ وَالْأُنْسِ وَالِإِتِّذَاذِ بِلِقَاءِ الْمَحْبُوبِ مُسْتَحِيلٌ عَلَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَكَذَا الْكَرَاهَةُ مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا بِمَعْنَى النُّفْرَةِ وَالْوَحْشَةِ وَالتَّأَلُّمِ وَالثَّقَلِ بِلِقَاءِ الْمَكْرُوهِ مُسْتَحِيلَةٌ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ.

فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: إِذَا عَامَلَنِي عَبْدِي مُعَامَلَةً مِنْ أَحَبَّ لِقَائِي بِأَنْ يَجْتَهِدَ فِي طَاعَتِي وَيَزْهَدَ<sup>(2)</sup> فِي الدُّنْيَا وَالشَّهَوَاتِ وَكُلِّ مَا يَقْتَضِي حُبَّهُ لِلِقَاءِ غَيْرِي، وَأَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ الَّذِي يُلْقَى بَيْنِي وَبَيْنَهُ، عَامَلْتُهُ أَنَا مُعَامَلَةً مَنْ يُحِبُّ لِقَاءَهُ؛ بِأَنْ أَقْرَبَ عَلَيْهِ الْمَوْتَ بِتَقْصِيرِ أَمَلِهِ، وَأُسَهِّلَ مَشَاقَّهُ عَلَيْهِ بِمَا يَسْمَعُهُ مِنَ الْبَشَائِرِ عِنْدَهَا، وَمَا يَرَاهُ مِنَ الْكَرَامَاتِ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ حَتَّى يَطِيرَ قَلْبُهُ

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: «يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ»

[الفتح: ١٥]. رقم (7504)

(2) السَّنُوسِيُّ: الزَّهْدُ: خُلُوُّ الْبَاطِنِ مِنَ الْمِيلِ إِلَى فَاِنٍ، وَفِرَاقُ الْقَلْبِ مِنَ الثِّقَةِ بِزَائِلٍ، وَإِنْ كَانَتْ الْيَدُ مَغْمُورَةً بِمَتَاعٍ حَلَالٍ فَعَلَى سَبِيلِ الْعَارِيَةِ الْمُحَضَّةِ، وَتَصَرُّفُهُ فِيهِ بِالِإِذْنِ الشَّرْعِيِّ تَصَرُّفٌ الْوَكَالَةِ الْخَالِصَةِ، يَنْتَظِرُ الْعَزَلَ عَنْ ذَلِكَ التَّصَرُّفِ بِالْمَوْتِ أَوْ غَيْرِهِ مَعَ كُلِّ نَفْسٍ، وَذَلِكَ بِنَفْيِ عَنِ النَّفْسِ التَّعَلُّقِ بِمَا لَا بَدَّ مِنْ زَوَالِهِ. (شرح أم البراهين، ص 230، مطبوع بهامش حاشية الدسوقي عليه)

بِسَبَبِ ذَلِكَ اشْتِيَاقًا إِلَى رُؤْيَا مَوْلَاهُ، وَتَقُولَ رُوحُهُ لِحَمَلَتِهِ إِلَى الْقَبْرِ: «قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي».

وَإِذَا عَامَلَنِي عَبْدِي مُعَامَلَةً مِنْ كَرِهٍ لِقَائِي، بِأَنْ اشْتَغَلَ بِمَا يَقْتَضِي الْبُعْدَ وَالْغَضَبَ مِنْ مَعْصِيَتِي، وَالرُّكُونَ إِلَى عَاجِلِ الشَّهَوَاتِ، وَنَسِيَ الْمَوْتَ وَالْآخِرَةَ، عَامَلْتُهُ أَنَا مُعَامَلَةً مِنْ كَرِهٍ لِقَائِي بِأَنْ بَعَدْتُ عَنْهُ الْمَوْتَ بِتَطْوِيلِ أَمَلِهِ، وَكَرِهْتُ لَهُ الْمَوْتَ وَاللِّقَاءَ بِمَا يَرَى مِنْ عَلَامَاتِ الْغَضَبِ وَشِدَّةِ الْعَذَابِ عِنْدَ الْمَوْتِ، حَتَّى لَا يَكُونَ شَيْءٌ حِينِيذٍ أَكْرَهَ عِنْدَهُ مِنَ الْمَوْتِ وَاللِّقَاءِ، وَتَقُولَ رُوحُهُ لِحَمَلَتِهِ إِلَى الْقَبْرِ: «يَاوَيْلَهَا أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا».

وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنْ لَوَازِمِ الْمَحَبَّةِ وَالْكَرَاهَةِ؛ فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الْمُلُوكِ لَمْ يَكُنْ لَهُ شُغْلٌ إِلَّا بِالتَّجَمُّلِ لِلِقَائِهِمْ وَالِاسْتِعْدَادِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِإِعْدَادِ مَا يُوجِبُ رِضَاهُمْ عَنْهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَائَهُمْ لَمْ يَشْتَغِلْ إِلَّا بِأَضْدَادِ ذَلِكَ حَتَّى يُسَاقَ إِلَى الْمَلِكِ سَوْقَ الْجَنَازَةِ لِيُنْفَذَ فِيهِ مَا يَأْمُرُ بِهِ الْمَلِكُ مِنَ الْعُقُوبَاتِ.

هَذَا كُلُّهُ إِذَا جَعَلْنَا «مَنْ» شَرْطِيَّةً، وَأَنَّ الْحُبَّ مِنَ الْعَبْدِ لِلِقَاءِ اللَّهِ سَبَبٌ فِي حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى لِقَاءَهُ، وَأَمَّا إِنْ عَكْسْنَا وَجَعَلْنَا حُبَّ اللَّهِ لِلِقَاءِ عَبْدِهِ هُوَ السَّبَبُ فِي حُبِّ الْعَبْدِ لِقَاءَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمَا يُكْرِمُهُ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ، تَعَيَّنَ حِينِيذٌ أَنْ تَكُونَ «مَنْ» مَوْصُولَةً، لَا شَرْطِيَّةً، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

بَابُ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.  
قَوْلُهُ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى السَّمَوَاتِ عَلَى إَصْبَعٍ»<sup>(1)</sup>  
تَأْوِيلُهُ فِيْمَا تَقَدَّمَ فَلَا فَائِدَةَ فِي إِعَادَتِهِ<sup>(2)</sup>.

قَوْلُهُ: «ثُمَّ يَهْرُثُنَّ»<sup>(3)</sup>

يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْهَرْثُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ وَالْبَحَارِ وَالْمِيَاهِ وَالثَّرَى  
كِنَايَةً عَنْ إِخْرَاجِ جَمِيعِ مَا فِي أَجْوَافِهَا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَمِنَ الْخَلَائِقِ بِتَحْرِيكِ  
جَمِيعِهَا لِلْحُضُورِ فِي أَرْضِ الْمَوْقِفِ لِتَرَى مَا لَهَا وَمَا عَلَيْهَا بَعْدَ أَنْ كَانَ  
جَمِيعُهَا قَبْلَ ذَلِكَ فِيْمَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ هَامِدًا<sup>(4)</sup> لَا حَرَكَ لَهْ.

وَفِي إِخْبَارِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِوُقُوعِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ وَتَخْيِيلِهِ فِي  
النُّفُوسِ بِهَذِهِ الِاسْتِعَارَةِ الْمُكْنِيَّةِ وَالتَّخْيِيلِيَّةِ لِيَسْعَدَ الْعَاقِلُ بِالنَّجَاةِ مِنْ هَوْلِ

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب كلام الربّ تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم.  
رقم (7513) عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جاء خبرٌ من اليهود فقال: إنه إذا كان يوم القيامة  
جعل الله السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والماء والثرى على إصبع،  
والخلائق على إصبع، ثم يهرثن ثم يقول: أنا الملك، أنا الملك، فلقد رأيت النبي  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضحك حتى بدت نواجذه تعجباً وتصديقاً لقوله، ثم قال النبي  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ  
مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 67].

(2) في (أ): تقدم تأويل ذلك.

(3) التخريج السابق.

(4) في (أ): بيان بمقدار كلمة بدل «هامدا»

هَذَا الْيَوْمِ الثَّقِيلِ بِمَلَاَزِمَةِ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْهُرُوبِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ وَكُلِّ شَاغِلٍ يَشْغُلُ عَنْ رِضَاهُ بِقَدْرِ اسْتِطَاعَتِهِ مَا دَامَ حَيًّا.

قَوْلُهُ: «يَدْنُو» <sup>(1)</sup> أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنْفَهُ <sup>(2)</sup> عَلَيْهِ <sup>(3)</sup>

يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الدُّنُوُّ مَعْنَوِيًّا، أَيْ: دُنُوَّ رَحْمَةٍ وَإِفْضَالٍ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى، حَتَّى يَضَعَ كَنْفَهُ - أَيْ: سِتْرَهُ - عَلَيْهِ، بِحَيْثُ يَحْجُبُ سُبْحَانَهُ عَنْ سَمَاعِ خِطَابِهِ لَهُ كُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ.

(1) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ». قال الإمام السنوسي: أَيْ: تَدْنُو رَحْمَتُهُ وَكَرَامَتُهُ؛ إِذْ لَمَّا كَانَ الْحَجُّ عَرَفَةَ، وَالْحَجُّ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ، كَانَ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ مِنَ الْخُلَاصِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعِقَابِ مِنَ النَّارِ أَكْثَرُ مَا يَكُونُ فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ، وَلَمَّا كَانَ النَّاسُ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِأَعْظَمِ الْقُرْبَاتِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَنْبِيْلُهُمْ فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْبُرُورِ وَاللُّطْفِ مَا يَنْبِيْلُهُمْ فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ، عَبَّرَ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى بِالْدُّنُوِّ مِنْهُمْ فِي الْمَوْقِفِ، أَيْ: لَيَدْنُو مِنْهُمْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمْ، أَيْ: يَفَاخِرُ. وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يَحْلَهُمْ مِنْ قُرْبِهِ وَمَكَاتِهِ مَحَلَّ الشَّيْءِ الْمُبَاهِي بِهِ. (مكمل الإكمال، ج3/ص 443)

(2) عياض: الكنف: الستر. ف«يضع عليه كنفه» أَيْ: ستره فلا يكشفه بها على رؤوس الأشهاد، بدليل قوله بعد: «سترتها عليك في الدنيا». وقد يكون كنفه هنا: عفوه ومغفرته، وحققة المغفرة في اللغة: الستر والتغطية. (راجع مشارق الأنوار، ج1/ص 343)

البيضاوي: «كنفه»: حفظه وستره عن أهل الموقف، وصَوْنُهُ عَنِ الْخِزْيِ وَالتَّفْضِيحِ، مُسْتَعَارٌ مِنْ كَنْفِ الطَّائِرِ وَهُوَ جَنَاحُهُ الَّذِي يَصُونُ بِهِ نَفْسَهُ وَيُسِرُّ بِهِ بَيْضَهُ فَيَحْفَظُهُ. (تحفة الأبرار، ج3/ص 399)

(3) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ أَلْأَشْهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّيهِمْ﴾ [هود: ١٨] رقم (4685)

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الدُّنُو حِسِّيًّا، فَيَحْمِلُ عَلَى دُنُوهِ مِنْ مَحَلِّ شَرِيفٍ أَسْمَعُهُ  
 الْمَوْلَى جَلًّا وَعَلَا فِيهِ خِطَابُهُ، وَأَبْعَدُهُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ عَنْ مَوْقِفٍ غَيْرِهِ حَسًّا  
 كَمَا أَبْعَدَهُمْ عَنْ سَمَاعِ خِطَابِهِ لَهُ مَعْنَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْمُرَادِ.

بَاب ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]

قَوْلُهُ: «وَدَنَا الْجَبَّارُ رَبُّ الْعِزَّةِ، فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ  
 أَدْنَى»<sup>(١)</sup>.

الدُّنُو عَلَى اللَّهِ بِمَعْنَى الْحَرَكَةِ وَالْقُرْبِ بِالْمَسَافَةِ مُسْتَحِيلٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ صِفَاتِ  
 الْأَجْرَامِ الْحَادِثَةِ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ دُنُوهُ تَعَالَى لِمُصْطَفَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 بِمَعْنَى دُنُو التَّائِسِ لِقَلْبِهِ، وَتَسْهِيلِ مُشَاهَدَةِ ذَاتِهِ الْعَلِيَّةِ بِمَا مَلَأَ بِهِ قَلْبَهُ مِنْ  
 مُشَاهَدَةِ جَمَالِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَطَوَى عَنْهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَطَالَعَةَ جَبَّارِيَّتِهِ وَقَهْرِهِ  
 وَكِبَرِيَّائِهِ.

و«تَدَلَّى لَهُ» أَي: نَزَلَ عَنْ مُعَامَلَتِهِ بِمُقْتَضَى الْجَبَّارِيَّةِ وَالْكِبَرِيَّاءِ وَالْجَلَالِ  
 إِلَى مُعَامَلَتِهِ بِمُقْتَضَى الْجَمَالِ وَالرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ وَالْإِفْضَالِ، وَزَادَ فِي تَقْرِيبِهِ

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] رقم  
 (7517) قال الشيخ أحمد بن إسماعيل الكوراني: قوله: «وَدَنَا الْجَبَّارُ فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ قَابَ  
 قَوْسَيْنِ» حَمَلَهُ عَلَى جَبْرِيلَ لَا يَرْضَاهُ مِنْ لَهُ قَدَمٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَاضِي عِيَاضُ  
 رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ: «الْقُرْبُ وَالِدُنُو إِلَى اللَّهِ أَوْ مِنْ اللَّهِ لَيْسَ دُنُوَّ مَكَانٍ، بَلْ بِالنَّظَرِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْشَارَةً إِلَى شَرَفِ مَحَلِّهِ وَعَظَمِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ، وَمِنْ اللَّهِ تَعَالَى تَأْنِيسُ رَسُولِهِ  
 وَإِكْرَامُهُ. وَهَذَا كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ: «مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا»، وَلَهُ نَظَائِرُ فَوْقَ الْحَدِّ، بَلِ الْآيَاتُ  
 وَأَحَادِيثُ الصِّفَاتِ كُلُّهَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ. (الكوثر الجاري، ج 11/ ص 515)

بِهَذِهِ الْمُشَاهَدَةِ الْجَلِيلَةِ حَتَّى كَانَ فِي عَظِيمِ أَنْسِهِ بِهِ وَوُضُوحِ مُشَاهَدَتِهِ لِدَاتِهِ الْعَلِيَّةِ وَسَمَاعِهِ لِحِطَابِهِ الْأَعْلَى نَظِيرَ مَنْ جَاءَ مِنَ الْعَبِيدِ لِمَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ وَذَلِكَ الْعَبْدُ يَعِزُّ عَلَى مَوْلَاهُ الْمَلِكِ، فَتَنَزَّلَ لَهُ عَنْ أَعْلَى قَصْرِهِ الَّذِي يَتَعَدَّرُ مَعَهُ وَوُضُوحِ ذَاتِهِ لَهُ عَلَى التَّمَامِ وَسَمَاعِ حِطَابِهِ عَلَى الْكَمَالِ، وَصَارَ يَقْرُبُ مِنْهُ فِي تَنَزُّلِهِ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، حَتَّى كَانَ مَعَهُ فِي الْقُرْبِ بِالْمَكَانِ قَدْرَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَذْنَى، فَحِينَئِذٍ يَتَمَتَّعُ بِكَمَالِ مُشَاهَدَتِهِ أَعْلَى تَمَتُّعٍ، وَيَزُولُ عَنْهُ بِهَذَا الْقُرْبِ كُلُّ لَبْسٍ، وَيَطِيرُ عَنْهُ بِمَا تَحَقَّقَ وَاتَّضَحَ لَهُ كُلُّ هَمٍّ وَوَحْشَةٍ وَتَعَبٍ، وَتَحَقَّقَ حِطَابُهُ حِينَئِذٍ، وَوَثِقَ بِهِ كُلُّ الْوُثُوقِ لِقُرْبِهِ مِنْهُ غَايَةَ الْقُرْبِ، وَيَثِقُ بِهِ أَيْضًا مَنْ يَبْلُغُهُ ذَلِكَ الْخِطَابُ عَنِ الْمَلِكِ مِنْ سَائِرِ عَبِيدِهِ.

فَلَوَازِمُ هَذَا الْقُرْبِ الْحَسِّيِّ هِيَ الَّتِي اسْتَعِيرَ لَهَا الْعِبَارَةُ الْمَوْضُوعَةُ لِلْقُرْبِ الْحَسِّيِّ تَقْرِيْبًا لِفَهْمِ تِلْكَ اللَّوَازِمِ الْكَثِيرَةِ بِأَوْجَزِ عِبَارَةٍ، وَهُوَ لَفْظُ مَلْزُومِهَا الَّذِي يَحْضُرُ فِي الذَّهْنِ جَمِيعُهَا، وَلِلتَّنَزُّلِ عَنْ مُقْتَضَى الْجَبَّارِيَّةِ وَالْعِزَّةِ عَبْرَ بِقَوْلِهِ «وَدَنَا الْجَبَّارُ رَبُّ الْعِزَّةِ».

«فَتَدَلَّى» أَي: قَرَّبَ إِلَى مُصْطَفَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَدَلِّيهِ لَهُ عَنْ مُقْتَضَى الْجَبَّارِيَّةِ وَالْعِزَّةِ، وَيَكُونُ هَذَا الْحَدِيثُ نَظِيرَ مَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبَرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ»، وَفِي ذَلِكَ تَعْظِيمٌ كَامِلٌ لِلصَّلَوَاتِ وَوُثُوقٍ فِي غَايَةِ لَوْجُوبِهَا، وَلِكُلِّ مَا بَلَغَ عَلَيْهِ الْأَصْلَاحُ وَالسَّلَامُ مِنْ أَمْرِهَا.



هَذَا مَا ظَهَرَ لِي فِي مَعْنَى ذَلِكَ، وَلِلْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ تَأْوِيلَاتٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى  
أَعْلَمُ بِالْمُرَادِ.

قَوْلُهُ: «فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَلْيُخَفِّضْ عَنْكَ»<sup>(1)</sup>.

يَعْنِي: ارْجِعْ إِلَى طَلَبِهِ وَمُنَاجَاتِهِ. أَوْ: ارْجِعْ إِلَى الْمَحَلِّ الَّذِي اخْتَارَ أَنْ  
يُسَمِعَكَ خِطَابَهُ فِيهِ وَوَحْيَهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.  
وَبَاقِي الْأَبْوَابِ تَقَدَّمَ تَأْوِيلُ مُشْكِلِهَا<sup>(2)</sup>، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمُؤَفَّقُ بِفَضْلِهِ  
وَكَرَمِهِ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



---

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164] رقم  
(7517)

(2) في (ب): والله تعالى هو الموفق بفضلته وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله  
وصحبه وسلم تسليما كثيرا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. كمل بفضل الله تعالى  
على يد كاتبه لنفسه الفقير محمد بن أبي الفضل خروف التونسي تاب الله تعالى عليه، وذلك  
عند فجر يوم السبت تاسع عشر من ربيع الثاني من عام 949 عرفنا الله تعالى خيره وما بعده  
بمنه وكرمه، وكان النسخ بمدينة فاس حماها الله تعالى.



# شَرْحُ أَبْيَاتِ لِبَعْضِ السَّادَاتِ

تصنيف الإمام

أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني

( 832 - 895 هـ )

اعتنى به

نزار حمّادي

بإذن الإمام محمد بن عبد الوهاب  
توشن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

قال الشيخ السنوسي رحمه الله تعالى

هذا تعليق على قول بعض السادات رضي الله تعالى عنهم أجمعين

رَأَيْتُ رَجُلًا يَبْغِي فُلْبِي فَقُلْتُ لَا شَكَ أَنْتَ أَنْتَ  
أَنْتَ الْإِنْسَانُ حُرَّتْ كُلُّ أَيْنٍ فَعَيْتُ لَا أَيْنَ - ثُمَّ أَنْتَ  
وَلَيْتُ لَا أَيْنَ مِنْكَ أَيْنَ فَيَعْلَمُ الْإِنْسَانُ أَنْتَ  
وَلَيْتُ لِلْوَفْمِ وَفِيكَ وَفْمٌ فَيَعْلَمُ الْوَفْمُ كَيْفَ أَنْتَ  
أَحْضَتْ عِلْمًا بِكُلِّ شَيْءٍ وَكُلِّ شَيْءٍ تَرَاهُ أَنْتَ  
فَمَنْ بِالْعَفْوِ يَا إِلَهِي فَلَيْتُ أَوْ جُوسَاكَ أَنْتَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ <sup>(1)</sup>.

قَوْلُهُ: (رَأَيْتُ رَبِّي بِعَيْنِ قَلْبِي)

يَعْنِي: عَرَفْتُهُ بِوُجُودِهِ <sup>(2)</sup> وَمَا يَجِبُ لَهُ وَمَا يَسْتَحِيلُ <sup>(3)</sup> وَمَا يَجُوزُ بِبَصِيرَةِ قَلْبِي الَّتِي هِيَ عَيْنُ الْقَلْبِ، وَهُوَ الْجُزْءُ مِنْهُ الَّذِي يَقُومُ بِهِ الْعِلْمُ وَالْفِكْرَةُ الصَّحِيحَةُ الْمُصِيبَةُ <sup>(4)</sup>.

وَقَوْلُهُ: (فَقُلْتُ لَا شَكَّ أَنْتَ أَنْتَ)

يَعْنِي: فَقُلْتُ بِقَلْبِي لَمَّا أَنَّ عَرَفْتُهُ بِالْبُرْهَانِ <sup>(5)</sup> الْقَاطِعِ <sup>(6)</sup>، وَتَمَيَّزَ <sup>(7)</sup> لِي عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ: لَا شَكَّ وَلَا رَيْبَ أَنْتَ يَا مَوْلَايَ هُوَ الْمَوْصُوفُ بِهَذِهِ الْمَحَاسِنِ الَّتِي أَبْصَرْتُهَا بِالْبُرْهَانِ <sup>(8)</sup> عَيْنُ قَلْبِي.

وَإِنَّمَا رَتَّبَ الْقَوْلَ <sup>(9)</sup> عَلَى رُؤْيَا الْقَلْبِ - وَهِيَ مَعْرِفَتُهُ بِاللَّهِ تَعَالَى - تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّ حُصُولَ الْإِيمَانِ هُوَ عِنْدَ حُصُولِ الْمَعْرِفَةِ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ - عَلَى الْأَصَحِّ - هُوَ حَدِيثُ النَّفْسِ التَّابِعُ لِلْمَعْرِفَةِ، لَا نَفْسُ الْمَعْرِفَةِ، خِلَافًا لِلشَّيْخِ الْأَشْعَرِيِّ.

---

(1) الخطبة ليست في (أ)

(2) في (ب): عرفت وجوده

(3) وما يستحيل: ليست في (أ)

(4) في (ب): الفكرة المضئئة الصحيحة.

(5) في (ب): بالبراهين

(6) ليست في (ب)

(7) في (أ): وتبين

(8) في (ب): أبصرها بالبراهين

(9) ليست في (أ)

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ بِرُؤْيَا عَيْنِ الْقَلْبِ الْمَعْرِفَةُ الدُّوقِيَّةُ الَّتِي هِيَ آخِرُ  
مَقَامَاتِ السَّالِكِينَ، فَيَكُونُ حَيْثُذِ مَعْنَى قَوْلِهِ: «أَنْتَ أَنْتَ» أَي: أَنْتَ الْآنَ  
بِحَسَبِ الْمَعْرِفَةِ الدُّوقِيَّةِ هُوَ أَنْتَ أَوَّلًا بِحَسَبِ الْمَعْرِفَةِ الرَّسْمِيَّةِ الَّتِي أَنْتَجَتْهَا  
الْبَرَاهِينُ الْعَقْلِيَّةُ؛ إِذْ عَلَامَةُ صِحَّةِ الدُّوقِ أَنْ يَجْرِيَ <sup>(1)</sup> عَلَى وَفْقِ مَا شَهِدَ بِهِ  
الْعِلْمُ الرَّسْمِيُّ.

وَلِهَذَا يَسْتَعِيدُ الْمُؤْمِنُونَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الصُّورَةِ الَّتِي تَظْهَرُ لَهُمْ فِي  
الْمَوْقِفِ عَلَى صِفَةِ الْحَوَادِثِ، فَتَقُولُ: «أَنَا رَبُّكُمْ»، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى  
يَأْتِينَا <sup>(2)</sup> رَبُّنَا، أَوْ حَتَّى يَظْهَرَ لَنَا عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي عَرَفْنَاهُ بِهَا مِنَ التَّنَزُّهِ عَنْ  
سِمَاتِ الْحَوَادِثِ كُلِّهَا، وَلِهَذَا لَمَّا رَأَوْهُ عَلَى مَا يَجِبُ لَهُ تَعَالَى خَرُّوا سُجَّدًا.

وَتِلْكَ الْفِتْنَةُ فِي الْآخِرَةِ هِيَ آخِرُ الْفِتَنِ الَّتِي يَظْهَرُ بِهَا الْمُؤْمِنُ - الْعَارِفُ بِمَا  
يَجِبُ لِمَوْلَانَا وَمَا يَجُوزُ وَمَا يَسْتَحِيلُ - مِنْ غَيْرِهِ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ ضَرَرِ تِلْكَ  
الْفِتْنَةِ إِلَّا مَنْ أَتَقَنَ عَقَائِدَهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَأُسْعِدَ بِالْمَمَاتِ عَلَى ذَلِكَ.  
نَسْأَلُ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - السَّلَامَةَ مِنْ شَرِّ كُلِّ مِحْنَةٍ دُنْيَا وَآخِرَى، بِجَاهِ سَيِّدِنَا  
وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَوْلُهُ: (أَنْتَ الَّذِي حُزَّتْ كُلُّ أَيْنٍ)

أَي: أَنْتَ الَّذِي أَحْطَتَ بِكُلِّ مَكَانٍ مِنَ الْعَوَالِمِ عِلْمًا وَمُلْكًا وَتَدِيرًا، أَي:  
كُلِّ الْعَوَالِمِ وَكُلِّ جُزْءٍ مِنْهَا لَا يُشَارِكُكَ فِي مُلْكِهَا وَلَا تَدِيرِهَا أَحَدٌ عُمُومًا؛

(1) فِي (ب): يَجِيءُ

(2) فِي (ب): يَأْتِي

لَأَنَّ كُلَّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ الْعَوَالِمِ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَكَانًا لِجُزْءٍ آخَرَ لِيَسْتَقَرَّ عَلَيْهِ (١)، فَلَا يَأْتِي إِذَا صَادِقٌ بِكُلِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ الْعَوَالِمِ، فَحُوزُهُ لِكُلِّ أَتَيْنٍ بِالْمُلْكِ وَالتَّدْبِيرِ وَالْعِلْمِ وَالْقَهْرِ، وَهُوَ مَعْنَى مُلْكِهِ لِكُلِّ الْعَوَالِمِ وَتَدْبِيرِهِ لَشُؤْنِهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

قَوْلُهُ: (فَحَيْثُ لَا أَتَيْنَ ثُمَّ أَنْتَ).

أَشَارَ بِ«ثُمَّ» إِلَى الْمَرْتَبَةِ الَّتِي تُنَزَّهُ عَنِ الْأَتَيْنِ، وَهِيَ مَرْتَبَةُ الْإِلَهِ الْحَقِّ الَّذِي يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْجَرَمِيَّةُ (٢) وَالْعَرَضِيَّةُ (٣) الْمَلْزُومِينَ لِقَبُولِ الْأَتَيْنِ، وَهِيَ الَّتِي أَرَادَ أَيْضًا بِقَوْلِهِ: «حَيْثُ»، أَيُّ: أَنْتَ يَا مَوْلَايَ فِي الْمَرْتَبَةِ الَّتِي تُنَزَّهُ عَنِ الْجَرَمِيَّةِ وَالْعَرَضِيَّةِ وَقَبُولِ الْأَتَيْنِ الَّذِي هُوَ مِنْ خَوَاصِّ الْعَوَالِمِ الْحَادِثَةِ الَّتِي حُزَّتْ جَمِيعُهَا خَلْقًا وَمُلْكًا وَتَدْبِيرًا، فَكَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ يَا مَوْلَايَ فِي مَرْتَبَةِ تَشْبِهِ (٤) مُلْكِكَ؟!

(١) يصلح.. عليه: ليس في (أ)

(٢) أي: يستحيل أن يكون تعالى على صفة الجرم - بكسر الجيم - وهو ما يملأ قدرًا من الفراغ يكون محصورًا فيه كالأجسام المخلوقة بعد العدم.

(٣) أي: يستحيل أن يكون تعالى على صفة العرض - بفتح العين والراء - وهو الصفة التي تقوم بالجرم وتكون مفتقرة إليه وتوجد تارة وتعدم أخرى كالحركة والسكون والألوان وغيرها، فيتنزه مولانا - جَلَّ وَعَلَا - بدليل العقل والنقل أن يكون عرضًا مفتقرًا إلى جرم يوجد فيه، فكل ذلك من صفات المخلوقات التي أوجدها الله تعالى بعد العدم.

(٤) في (أ): شبه

فَأَنْتَ إِذَا يَا مَوْلَايَ فِي مَرْتَبَةٍ لَا يَصِحُّ <sup>(1)</sup> فِيهَا أَيْنٌ، وَهِيَ مَرْتَبَةُ كَوْنِكَ الْوَاحِدِ  
 الْأَحَدِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ.  
 وَلِهَذَا أَشَارَ إِلَى هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ الْعَدِيمَةِ الْمِثَالِ بِقَوْلِهِ:  
 (وَلَيْسَ لِلْأَيْنِ مِنْكَ أَيْنٌ)

يَعْنِي: إِنَّكَ يَا مَوْلَايَ لَمَّا تَزَهَتْ عَنِ التَّحْيِيزِ <sup>(2)</sup> وَصِفَاتِ الْأَجْرَامِ مِنْ قَبُولِ  
 الْأَيْنِ وَالْجِهَاتِ، لَمْ يَكُنْ لِلْأَيْنِ مِنْكَ أَيْنٌ، أَي: لَمْ يَكُنْ لِلْفُظِّ الْأَيْنِ مِنْكَ أَيْنٌ <sup>(3)</sup>  
 وَلَا لِمَعْنَاهُ، وَالسُّؤَالُ بِهِ مِنْ جِهَةِ جَلَالِكَ مُحَالٌ، وَلَا يُسَلَّمُ الْكَلَامُ الَّذِي يُقَالُ  
 فِيهِ: أَيْنَ أَنْتَ؟ بَلْ يُعْتَرَضُ ذَلِكَ الْكَلَامُ وَيُبْطَلُ، إِلَّا أَنْ يُرِيدَ بِهِ صَاحِبُهُ غَيْرَ  
 مَعْنَى الْأَيْنِ الْحَقِيقِيِّ، وَيَنْصَبُ قَرِينَةً عَلَى مُرَادِهِ، كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ  
 لِلْسُّودَاءِ: «أَيْنَ اللَّهُ؟» <sup>(4)</sup>، فَإِنَّهُ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذَلِكَ اخْتِبَارًا لَهَا هَلْ هِيَ  
 مِنَ الْمُشْرِكَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ الَّتِي مَحَلُّهَا فِي الْأَرْضِ  
 وَوُجِدَ تَعْظِيمُهَا فِيهَا فَقَطْ؟

(1) في (ب): لا يصلح

(2) التحييز: هو الكون في الحيز، والحيز: هو قدر من الفراغ يملأه الجسم. ولا يتصف بالتحيز  
 إلا المخلوق بعد العدم.

(3) منك أين: ليس في (ب)

(4) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما  
 كان من إباحته.



فَاجَابَتْ هِيَ بِأَنَّ مَعْبُودَهَا لَيْسَ الَّذِي يُعَظَّمُ فِي الْأَرْضِ فَقَطْ وَهِيَ الْأَصْنَامُ،  
وَأِنَّمَا مَعْبُودُهَا اللَّهُ، فِي السَّمَاءِ لَا يُعَظَّمُ فِيهَا غَيْرُهُ، بِخِلَافِ الْأَرْضِ فَإِنَّهُ قَدْ  
عُبِدَ فِيهَا مَوْلَانَا - جَلَّ وَعَلَا - وَعُبِدَ فِيهَا غَيْرُهُ.

وَلِهَذَا لَمْ تُشْرَ إِلَى الْأَرْضِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ اللَّبْسِ لِاخْتِلَاطِ الْمَعْبُودِ الْحَقِّ  
فِيهَا بِالْمَعْبُودَاتِ الْبَاطِلَةِ فِي الْعِبَادَةِ، وَلَا كَذَلِكَ السَّمَاءُ، فَكَانَتْهَا أَجَابَتْ بِأَنَّ  
مَعْبُودَهَا اللَّهُ الَّذِي تَعْبُدُهُ الْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ وَحْدَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ  
الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤] أَي: مَعْبُودٌ فِيهِمَا، وَقَدَّمَ  
السَّمَاءَ لِشَرَفِهَا وَعَدَمِ الْإِشْتِرَاكِ فِيهَا.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «أَيْنَ اللَّهُ؟» أَي: أَيْنَ مَنْزِلَتُهُ  
فِي قَلْبِكَ؟ هَلْ هُوَ مِثْلَ مَنْزِلَتِهِ فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ تَسْوِيَّتِهِمْ لَهُ تَعَالَى مَعَ  
مَخْلُوقَاتِهِ فِي الْأُلُوهِيَّةِ، فَأَهَانُوا مَنْصِبَ الْأُلُوهِيَّةِ الْأَعْلَى وَتَلَاعَبُوا بِهِ حَيْثُ <sup>(١)</sup>  
أَثْبَتُوهُ لِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ عَقْلاً وَلَا نَفْلاً مِنْ بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ وَالْجَمَادَاتِ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ  
الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [١] ﴿الأنعام: ١﴾، فَذَكَرَ - سُبْحَانَهُ - أَفْعَالَهُ الَّتِي يَعْجِزُ  
عَنْهَا كُلُّ مَا سِوَاهُ فَلَا يَفْعَلُهَا لَا بِالْحَقِيقَةِ وَلَا بِالْمَجَازِ، ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنْعَمِ  
الْمَوْلَى الْعَظِيمِ وَجَحَدُوا دَلَائِلَ وَحَدَانِيَّتِهِ وَتَنَزَّهِهِ تَعَالَى عَنِ الشَّرِيكِ فِي ذَاتِهِ

(١) في (ب): حين

وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ يَعْدِلُونَ بِهِ غَيْرُهُ، أَيُّ: يُسَاوُونَ بِهِ غَيْرُهُ، وَأَتَى بِ«ثُمَّ» لِاسْتِبْعَادِ  
صُدُورِ<sup>(1)</sup> هَذِهِ الرِّذِيلَةِ مِنَ الْعُقَلَاءِ.

فَأَجَابَتْ تِلْكَ السُّودَاءُ لِتَعَذُّرِ النُّطْقِ مِنْهَا بِأَنَّ مَنَزِلَةَ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَهَا لَيْسَ  
كَمِثْلِ مَنَزِلَتِهِ فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ عَدَمِ التَّعْظِيمِ، بَلْ هُوَ عِنْدَهَا فِي الرَّفْعَةِ  
وَالْجَلَالَةِ فِي السَّمَاءِ الْأَعْلَى لَا يَصِلُ أَحَدٌ إِلَى قَدْرِهِ وَلَا إِلَى التَّشَبُّهِ بِهِ لِأَنَّ  
النَّاسَ إِذَا عَظَّمُوا أَحَدًا فِي غَايَةِ التَّعْظِيمِ قَالُوا فِي التَّعْبِيرِ فِي ذَلِكَ: فَلَانَّ أَرَاهُ  
فِي السَّمَاءِ الْأَعْلَى، وَنَجْمًا فِي السَّمَاءِ، وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ: (فَيَعْلَمَ الْآئِينَ أَيْنَ أَنْتَ)

هَذَا كَلَامٌ مُرْتَبِّ عَلَى نَفْيٍ، وَلِهَذَا يُنْصَبُ الْمُضَارِعُ، أَيُّ: لَا أَيْنَ لَكَ لَا  
بِالْقَبُولِ وَلَا بِالْحُصُولِ فَيَعْلَمَ ذَلِكَ الْآئِينَ بِكُنْهِ ذَاتِكَ، إِذِ الْآئِينَ يَعْلَمُ بِأَنَّ كُلَّ مَا  
حَلَّ فِيهِ فَهُوَ مِنَ الْأَجْرَامِ الْكَثِيرَةِ الْأَمْثَالِ، فَلَا خَفَاءَ إِذَا لِدَاتٍ لَهَا أَيْنُ.

قَوْلُهُ: (وَلَيْسَ لِلَّوْهِمِ مِنْكَ وَهُمْ)

مُرَادُهُ بِاللَّوْهِمِ هُنَا إِدْرَاكَ يُقَدَّرُ<sup>(2)</sup> أُمُورًا مِنَ الْأَجْرَامِ وَالْأَعْرَاضِ، مِنْهَا مَا كَانَ  
وَمِنْهَا مَا لَمْ يَكُنْ، وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ إِدْرَاكَ لَا يَخُوضُ إِلَّا فِي جِنْسِ الْأَجْرَامِ  
وَجِنْسِ أَعْرَاضِهَا.

وَلَمَّا تَنَزَّهَ الْمَوْلَى الْعَظِيمُ أَنْ يُمَاتِلَ شَيْئًا مِمَّا سِوَاهُ مِنْ أَجْنَاسِ الْأَجْرَامِ<sup>(1)</sup>  
وَأَجْنَاسِ الْأَعْرَاضِ عُمُومًا، قُصِّتْ أَجْنَحَةُ الْوَهْمِ وَرَجَعَ خَاسِئًا لَا يَقْدِرُ أَنْ

(1) فِي (أ): ظَهَرَ

(2) لَيْسَتْ فِي (أ)

يَلْمَحُ<sup>(2)</sup> الذَّاتَ الْعَلِيَّةَ وَلَا صِفَاتَهَا لِأَنَّ ذَلِكَ الْجَلَالَ الْعَدِيمَ الْمِثَالِ<sup>(3)</sup> خَارِجٌ وَبَعِيدٌ غَايَةَ الْبُعْدِ عَنْ جِنْسِ عَشِّهِ الَّذِي يَتَحَرَّكُ فِيهِ.

قَوْلُهُ: (فَيَعْلَمُ الْوَهْمَ كَيْفَ أَنْتَ)

هَذَا أَيْضًا مُرْتَبٌّ عَلَى النَّفْيِ الَّذِي قَبْلَهُ، يَعْنِي أَنَّهُ لَمَّا اسْتَحَالَ ارْتِسَامُ ذَاتِكَ الْعَلِيَّةَ وَصِفَاتِكَ الْجَلِيلَةَ الْمُرْفَعَةَ فِي وَهْمٍ مِنَ الْأَوْهَامِ، لَمْ يَكُنْ لِلْوَهْمِ عِلْمٌ بِذَلِكَ الْجَلَالِ، وَإِنَّمَا الْعَقْلُ وَحْدَهُ أَدْرَكَ مِنْ ذَلِكَ الْجَلَالِ عَلَى الْجُمْلَةِ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْعَوَالِمُ، وَغَضَّ الطَّرْفَ عَجْزًا عَمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ: (أَحْطَتْ عِلْمًا بِكُلِّ شَيْءٍ)

يَعْنِي أَنَّ الْمَوْلَى الْعَظِيمُ أَحَاطَ عِلْمًا بِكُلِّ مَا سِوَاهُ، لَا يُحِيطُونَ عِلْمًا بِكُنْهِ ذَاتِهِ، وَإِنَّمَا تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بَنْزَرٍ<sup>(4)</sup> يَسِيرٌ مِنَ الْعِلْمِ يَتَنَفَّعُونَ مَعَهُ فِي أَمْرِ دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ.

قَوْلُهُ: (وَكُلُّ شَيْءٍ تَرَاهُ أَنْتَ)

أَيُّ: كُلُّ مَوْجُودٍ فَأَنْتَ تَرَاهُ، وَسَائِرُ الْمَوْجُودَاتِ حَاجِبَتُهُمْ عَنْ رُؤْيَا ذَلِكَ الْجَلَالِ، إِلَّا أَنْ تَفْتَحَ لِمَنْ شِئْتَ فِيمَا شِئْتَ<sup>(1)</sup> مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَحْدِيدٍ، فَهَذَا كُلُّهُ تَحْقِيقٌ لِعَظِيمِ مُلْكِهِ وَقَهْرِهِ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَعِبُودِيَّةِ كُلِّ مَا سِوَاهُ لَهُ.

(1) في (أ): الجواهر

(2) في (أ): ظهور

(3) في (ب): الجلال العظيم

(4) في (أ): بنور

قَوْلُهُ: (فَمَنْ بِالْعَفْوِ يَا إِلَهِي، فَلَيْسَ أَرْجُو سِوَاكَ أَنْتَ)

هَذَا مُرْتَبِّ عَلَى الْعِلْمِ وَالرُّؤْيَةِ لِكُلِّ مَوْجُودٍ، وَمِنْ جُمْلَةِ الْمَوْجُودَاتِ  
الْمَعَاصِي الَّتِي تَقَعُ مِنَ الْعَبِيدِ، وَقَدْ عَلِمْتَ <sup>(2)</sup> أَنَّ الْجَانِي إِذَا لَمْ يَرَ الْمَلِكُ  
جِنَايَتَهُ بَبَصَرِهِ <sup>(3)</sup> وَإِنَّمَا شَهِدَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ <sup>(4)</sup> رَبُّمَا يَحْتَالُ عَلَيْهِ بِإِنْكَارٍ وَتَجْرِيحٍ  
لِلشَّاهِدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، أَمَّا إِذَا عَلِمَ أَنَّ الْمَلِكَ قَدْ رَأَى جِنَايَتَهُ بَبَصَرِهِ، وَالْفَرَضُ  
أَنَّهُ فِي قَبْضَةِ الْمَلِكِ، انْقَطَعَتْ عَنْهُ الْحِيلُ كُلُّهَا وَلَمْ يُمَكِّنْهُ إِلَّا النِّدَاءُ بِالْوَيْلِ  
وَالثُّبُورِ وَالتَّضَرُّعِ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ وَالتَّشْفَعُ إِلَيْهِ بِخَوَاصِّ عَبِيدِهِ وَبِذَاتِهِ  
الْمُنَزَّهَةِ فِي طَلَبِ الْعَفْوِ، فَهَذَا وَجْهُ تَرْتِيبِ هَذَا الْكَلَامِ <sup>(5)</sup> بِ«الْفَاءِ» عَلَى مَا  
قَبْلَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَبِهِ التَّوْفِيقُ، لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَلَا مَعْبُودَ سِوَاهُ.

اللَّهُمَّ اخْتِمْ لَنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ وَالْمَغْفِرَةِ لِجَمِيعِ  
الذُّنُوبِ بِلَا مِحْنَةٍ يَا غَفُورٌ، بِجَاهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ  
وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وكان الفراغ منه يوم الجمعة التاسع من صفر الخير سنة 1182 هـ على يد

عثمان بن أحمد الورغي غفر الله له آمين.

(1) فيما شئت: ليس في (أ)

(2) في (أ): عرفت

(3) ليست في (ب)

(4) ليست في (أ)

(5) والتشفع... الكلام: ليس في (أ)



## فهرس

- 4..... \* مقدمة المحقق.
- 18..... \* تأويل مشكلات البخاري.
- 19..... \* بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَلَأْتُ الْبِلَادَ﴾ [الناس: ٢].....
- 19..... \* قوله: «يَقْبِضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».....
- 21..... \* قَوْلُهُ: «ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. أَتَيْنَ مُلُوكَ الْأَرْضِ؟!».....
- 22..... \* بَابُ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].....
- 22..... \* قوله: «حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهَا قَدَمَهُ».....
- 23..... \* بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٧٣].....
- 23..... \* قَوْلُهُ: «أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ».....
- 24..... \* قَوْلُهُ: «فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ».....
- 25..... \* بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨].....
- 25..... \* قَوْلُهُ: «مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ».....
- 26..... \* قوله: «وَهُوَ وَضَعَ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ».....
- 31..... \* قَوْلُهُ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي».....
- 32..... \* قَوْلُهُ: «وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي».....
- 32..... \* قَوْلُهُ: «ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي».....
- 33..... \* قَوْلُهُ: «ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ».....
- 33..... \* قَوْلُهُ: «وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا» إِلَى آخِرِهِ.....
- 35..... \* بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصاص: ٨٨].....
- 36..... \* بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَدَنِي﴾ [ص: ٧٥].....
- 37..... \* قَوْلُهُ: «وَيَذْكُرْ لَهُمْ حَطِيبَتَهُ».....

- 37 ..... \* قَوْلُهُ: «فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي».
- 39 ..... \* قَوْلُهُ: «فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا».
- 39 ..... \* قَوْلُهُ: «فَأَدْخِلْهُمْ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَرْجِعْ».
- 40 ..... \* قوله: «عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرُوحٌ مِنْهُ».
- 40 ..... \* قوله: «يَدُ اللَّهِ مَلَأْنِي».
- 41 ..... \* قَوْلُهُ: «وَبِيْدِهِ الْأُخْرَى».
- 41 ..... \* قَوْلُهُ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَرْضَ».
- 41 ..... \* قَوْلُهُ: «إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ عَلَى أَصْبَعٍ».
- 43 ..... \* بَابُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ».
- 44 ..... \* قَوْلُهُ: «وَلَا أَحَدَ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ».
- 45 ..... \* قَوْلُهُ: «وَلَا أَحَدَ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحَةُ مِنَ اللَّهِ».
- 46 ..... \* بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧].
- 47 ..... \* قَوْلُهُ: «وَرَوَّجَنِي مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ».
- 47 ..... \* قَوْلُهُ: «إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلَأْنِي».
- 48 ..... \* قَوْلُهُ: «كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ».
- 49 ..... \* بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَنَزَّجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].
- 50 ..... \* قَوْلُهُ: «فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ».
- 50 ..... \* قَوْلُهُ: «وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ».
- 51 ..... \* بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَهْمَانَا طَرَةً (٢٣) ﴿[القيامة: ٢٢ - ٢٣]....
- 51 ..... \* قَوْلُهُ: «سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ».
- 52 ..... \* قَوْلُهُ: «فَيَأْتِيهِمْ فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَ رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ».
- 55 ..... \* قَوْلُهُ: «فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَهَا».
- 55 ..... \* قَوْلُهُ: «فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتَّبِعُونَهُ».
- 58 ..... \* قَوْلُهُ: «فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ».

- 58..... \* قَوْلُهُ: «فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ».....
- 59..... \* قَوْلُهُ: «وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ كَذَبَهُنَّ».....
- 59..... \* قَوْلُهُ: «ابْتُوا مُحَمَّدًا عَبْدًا عَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ».....
- 60..... \* قَوْلُهُ: «فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ».....
- 61..... \* قَوْلُهُ: «مَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبَرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَاتِ عَدْنٍ».....
- 62..... \* قَوْلُهُ: «لَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ».....
- 63..... \* قَوْلُهُ: «فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بَعْدِ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ».....
- 63..... \* بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ تَعَالَى مَعَ جِبْرِيلَ.....
- 63..... \* قَوْلُهُ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَحَبَّ فَلَانَا».....
- 64..... \* بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥].....
- 64..... \* قَوْلُهُ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ».....
- 66..... \* قَوْلُهُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ».....
- 68..... \* بَابُ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.....
- 68..... \* قَوْلُهُ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ».....
- 68..... \* قَوْلُهُ: «ثُمَّ يَهْزُهُنَّ».....
- 69..... \* قَوْلُهُ: «يَذْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ».....
- 70..... \* بَابُ ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].....
- 70..... \* قَوْلُهُ: «وَدَنَا الْجَبَّارُ رَبُّ الْعِزَّةِ، فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى».....
- 72..... \* قوله: «فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ».....
- 74..... \* شَرْحُ آيَاتٍ لِبَعْضِ السَّادَاتِ.....
- 85..... \* فهرس.....



